أثر ابن رشد على الفكر الغربي

د/أحمد محمد إبراهيم الصاوي

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص بحث أثر ابن رشد على الفكر الغربي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعد

يتكون البحث من أربعة مباحث يسبقها مقدمة ويتلوها خاتمة

١ . المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وخطة البحث وخطواته

٢ . المبحث الأول : ابن رشد حياته ومؤلفاته تحدثت فيه عن اسمه ونسبه وكنيته ، وعن مولده ، وعن حياته ، وعن علاقته بابن طفيل ، وعن مؤلفاته ، ووفاته رحمه الله تعالى

٣ . المبحث الثاني : ترجمة فلسفة ابن رشد إلى العالم الغربي ، ويسلط هذا المبحث الضوء على عملية ترجمة ونقل التراث الإسلامي إلى العالم الغربي ،وخاصة تراث ابن رشد ، والآثار التي تركتها هذه الترجمات وموقف الكنيسة منها، فيقدم خلاصة عن أهم الأسباب الاقتصادية والثقافية التي دفعت العالم الأوروبي لنقل وترجمة تراث المسلمين وبينت ذلك من خلال مطلبين :

المطلب الأول: أسباب اللجوء إلى التراث العربي الإسلامي

المطلب الثاني : أهم المدن التي احتضنت عملية الترجمة لتراث ابن رشد:

٤ . المبحث الثالث : أثر ابن رشد على مفكري الغرب في القرون الوسطى

ويبين هذا المبحث أن العلماء والباحثون القدامى والمعاصرون مستشرقون ومسلمون يثبتون بما لا يدع مجلا للشك الأثر العظيم الذي أحدثه ابن رشد على الفكر الغربي في القرون الوسطى ووضحت ذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: الدراسات الغربية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى مثل ***دراسات أرنست رينان*** ، و ***دراسات "بيير موندوريه Pierre mondorret "، ودراسات "أسين بلاثيوس asinpalacios :***

المطلب الثاني : الدراسات الشرقية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى مثل دراسات محمد يوسف موسى ، وعباس محمود العقاد ، ومحمود قاسم ، وفرح أنطون

المطلب الثالث: اثر ابن رشد على العقيدة الكنسية في الغرب في العصور الوسطى

٣ . المبحث الرابع : أثر ابن رشد على مفكري الغرب في العصر الحديث بينت فيه أن معظم الباحثين ركزوا على تأثير الفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي في القرون الوسطي ، ولم يركزوا على التأثير الفلسفي الإسلامي على الفكر الغربي في العصر الحديث ، ومن خلال هذا المبحث القيت الضوء على هذا الأمر وأشرت إلى بعض جوانب التأثير لا كلها من خلال أثر ابن رشد على الفكر الغربي في العصر الحديث مبينا راي الرافضين لهذا التأثير من خلال مطلبين :

المطلب الأول : المؤيدون لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث مثل عباس محمود العقاد ، وذكي نجيب محمود ، وأحمد أمين ، وعبدالمعطي بيومي

ثم كانت الخاتمة : وتحدثت فيها عن نتائج البحث وتوصياته

Summary of Ibn Rushd's Influence on Western Thought

Praise be to God and prayers and peace be upon the Messenger of Allah peace be upon him

After

The research consists of four questions preceded by an introduction and followed by a conclusion

1 Introduction includes the importance of the subject and the reason for its selection, and the research plan and steps

2 - The first subject: Ibn Rushd his life and his writings talked about his name and descent and his nickname, and his birth, and his life, and his relationship with Ibn Tufail, and his writings, and his death, God's mercy

The second section deals with the translation of Ibn Rushd's philosophy into the Western world. This course highlights the process of translating and transferring the Islamic heritage to the Western world, especially Ibn Rushd's heritage, and the implications of these translations and the position of the Church. The European World for the transfer and translation of the heritage of Muslims and demonstrated this through two demands:

First: Reasons for resorting to the Arab-Islamic heritage

The second demand: the most important cities that embraced the translation process of the heritage of Ibn Rushd:

4 The third topic: the impact of Ibn Rushd on the thinkers of the West in the Middle Ages

This study shows that ancient and contemporary scholars and scholars are orientalists and Muslims who prove beyond any doubt the great impact that Ibn Rushd had on Western thought

in the Middle Ages and explained this through the following demands:

First demand: Western studies in support of Ibn Rushd's influence on medieval European thought such as Ernst Renan's studies, Pierre Mondorret studies, and Asinpalacios studies:

The second demand: the Oriental studies in support of Ibn Rushd's influence on European thought in the Middle Ages, such as the studies of Muhammad Yusuf Musa, Abbas Mahmoud al-Akkad, Mahmoud Qassem, Farah Anton

Third: Ibn Rushd's influence on the ecclesiastical creed in the West in the Middle Ages

3 -The fourth topic: Ibn Rushd's impact on the thinkers of the West in the modern era showed that most researchers focused on the influence of Islamic philosophy on European thought in the Middle Ages, and did not focus on the Islamic philosophical influence on Western thought in modern times, and through this section shed light On this matter and I pointed to some aspects of the impact, not all of them through the impact of Ibn Rushd on Western thought in modern times, indicating the rejection of this effect by two demands:

First: Supporters of the impact of Ibn Rushd on modern Western thought such as Abbas Mahmoud Akkad, and intelligent Naguib Mahmoud, Ahmed Amin, Abdulmuti Bayoumi

Then the conclusion was: I spoke about the research findings and recommendations

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد صلى الله علية وسلم وبعد

*فلاشك أن الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث شهدت حركة إحياء نشطة أسهم فيها عدد من كبار المصلحين في العالم الإسلامي ، بالإضافة إلي أساتذة الجامعات الحديثة ، وأرجو أن يكون هذا البحث نقطة من هذا الإسهام

* ولا شك أن فلاسفة الإسلام . هؤلاء الرواد العظام– يتميزون بشخصيتهم العلمية المتميزة في دراسة الفلسفة الإسلامية ، ومنهجهم المحدد الذي يسرى في أعمالهم الفلسفية ، ومن ثم يظهر اتجاههم الفكري ، وأفكارهم الفلسفية الرئيسية التي تأثر بها الفكر الغربي في القرون الوسطى والعصر الحاضر .

* فقد أقاموا منهجا أصيلا في دراسة الفلسفة الإسلامية ، وفق خطة علمية منظمة ، بهدف إبراز العقلية الإسلامية وخصائصها المتميزة ، آخذين تلك الفلسفة من الأمم ، والشعوب الأخرى ، بالإضافة لدورهم في تطوير ونقد تلك الفلسفات.

* وأساس تلك الفلسفة ما أبدعته عقولهم الإسلامية من أفكار ، وفلسفات ذاتية كانت نتاج البيئة الإسلامية ، والعقل الإسلامي المستقل

*ولاشك أن التراث الحضاري الإنساني أخذ وعطاء ، وليست هناك أمة ذات حضارة عريقة إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث ، وليس من المعقول بالنسبة لأمة من الأمم تريد بناء نفسها أن تبدأ من نقطة الصفر وتعيد نفس التجارب التي مرت بها أمم سابقة ، فهذا ضرب من العبث.

فـالفكر لا يعتـرف بحـدود مصـطنعة بـين الأمـم ، بـل يختـرق الحواجز، ويفرض نفسه رغم كل العقبات .

*وإذا ثبت ذلك فمن الغريب حقا أن يلاحظ الباحث أن هناك الكثير من المستشرقين يحاولون بيان أثر الفلسفة اليونانية على الفلسفة الإسلامية أو العربية ، بل إن البعض منهم بالغ فيقول : إن الفلسفة العربية ما هي إلا فلسفة يونانية كتبت بأحرف عربية ، وفي الوقت نفسه ينكر هؤلاء أي أثر للفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي بل ويحاولون إخفاءه بشتى الطرق .

*وأذكر دليلا على ذلك : في أوائل السبعينيات في مدينة عنابة بالجزائر ، كان المؤتمر العاشر للفكر الإسلامي وجمع صفوة من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين ، وكان أحد نجوم ذلك المؤتمر البحاثة الكبير التونسي الدكتور عثمان الكعاك . رحمة الله . ، الذي فاجأ المؤتمرين بحقيقة خطيرة جداً تتعلق بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وتأثيره على المفكر الفرنسي (رينيه ديكارت) ، فقد ذكر البحاثة الكعاك رحمة الله ، أن العلامة الدكتور محمد عبد الهادي أبا ريده ، والذي كانت تربطه بالدكتور الكعاك علاقة وثيقة ، طلب إليه أن يعاونه في عمل بحثي يقوم به الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده بخصوص تأثير حجة الإسلام الغزالي في الفكر الغربي ، وبما أن الكعاك التونسي كان يعمل أميناً للمكتبة الوطنية بفرنسا ، فإنه استطاع أن يصل إلى مكتبة رينيه ديكارت ، فوصل اليها وبدأ يطالع وفوجئ بنسخة من المنقذ من الضلال مترجمة الى اللاتينية في مقتنيات ديكارت ، وبخط ديكارت بالقلم الأحمر موضوع على أكثر من فقرة ينقل هذا إلى منهجنا (مقال في المنهج) وبخط ديكارت .. من ضمن الذين كانوا مؤتمرين هناك العلامة البوطي . رحمه الله .

حيث قال : ولا ندري ماذا حصل في اليوم التالي على هذه الحقيقة التي اسفرت بوجه هؤلاء المؤتمرين ، وجد الدكتور الكعاك ميتاً في غرفته فلا ندرى اوافق المقدور أم أن الرجل دس له شيئاً أو مات اختناقاً لا ندري ، لو مات في نفس الليلة أقول هذا قدر واضح لكن أن يموت في يوم تال معنى ذلك أن الخبر قد انتشر ، ووصل إلى بعض الدوائر التي ربما أرادت التخلص من الرجل، طبعا إلى الآن لا يعلم أحد أين هذا الكتاب المترجم ولا ندري أين خط ديكارت فقد ضاع كل شيء .

*فهذه القصة تدل على أن هناك منهج وفكر لابد أن يسود وهو: أن هؤلاء العرب المتوحشون لم يقدموا ولن يقدموا شيئاً للفكر البشري وأنهم عالة على غيرهم ، بل ويجب محو كل شيء يثبت أن كبار عباقرتهم مجرد لصوص متلصصة على تراث المسلمين .

فكتاب (المقال في المنهج) موجود يستطيع اي فرد أن يقرأه في جلسة وكتاب (المنقذ من الضلال) أقل منه بقليل كتيب تقرأ هذا وتقرأ هذا تعلم تماماً أن روح حجة الإسلام تسري في مقال في المنهج ،و كانت هذه وثيقة لو كان الدكتور الكعاك على الاقل صور هذه الأشياء وأتاحها ، لكن هكذا قضى الله تبارك وتعالى ، أن يذاع هذا في مؤتمر حضره مئات المفكرين والباحثين في عنابه بالجزائر وهو، المؤتمر العاشر للفكر الاسلامي ومكتوب هذا في محاضر المؤتمر، وأورده الدكتور محمود زقزوق وزير الاوقاف الأسبق ، وقد سألته عن ذلك قبل كتابة هذا البحث وحكى لي بنفسه في جلسة علمية حضرها الدكتور / عبدالفتاح العواري ، والدكتور / عبدالمنعم فؤاد ، أننا أرسلنا إلى المكتبة الوطنية بفرنسا رسالة نسألها : هل عندكم ترجمات باللغة اللاتينية للكتب الآتية ، وذكرنا مجموعة من الكتب ووضعنا (المنقذ من الضلال) عمدا حتى نتأكد ،

وكان الرد صادما حيث وصل الرد على وجه السرعة ومفاده بلغة ينتابها القلق على حد تعبير دكتور محمود زقزوق : لا لا لايوجد لدينا أي ترجمات باللغة اللاتينية لأي شيء مما ذكرتم وهذا الرد يثير الريبة والشك [١] .

* فقد أردت من هذه القصة أن أبين أن مفكري الإسلام كان لهم أثر عظيم على مفكري الغرب حتى ولو لم يطلعوا على المنقذ من الضلال أو تهافت الفلاسفة فقد اطلعوا على تهافت التهافت لابن رشد وتأثروا بمفكري الإسلام بشكل مباشر مثل ابن رشد ، وحجة الإسلام الغزالي وهذا ما سنثبته في هذا البحث ليكون نواة للباحثين من بعدنا كي يثبتوا أن مفكري الإسلام لهم أثر عظيم على مفكري الغرب وسيكون (ابن رشد) نموج لمفكر مسلم أثر بشكل كبير على مفكري الغرب حتى يتتضح للجميع ما يحاول الغرب إخفاءه عنا

أهمية الدراسة وسبب اختيار الموضوع :

من المسلم به أن لكل موضوع أهمية من وراء البحث فيه ، وأن هناك أسباب لاختياره ، وداعياً إلى الغوص فيه للبحث عن درره ، وأصدافه ، وأفكاره ، وتمييز غثة من ثمينة ، ومن ثمَّ فإن أهمية هذا الموضوع ، وأسباب اختياره تكمن في الأمور الآتية:

١ . إلقاء الضوء على جهد عالم من علماء الإسلام ، ومفكر عظيم من مفكري الإسلام الأندلسيين وهو ابن رشد.

(١) جلسة علمية للإعداد لمجلة الأزهر عدد مايو ٢٠١٩ رمضان ١٤٤٠هـ وقد سألت أستاذنا الدكتور / محمود زقزوق عن هذا الأمر فحكى لنا ذلك ، وكان ذلك بحضور أ. د / ابراهيم الهدهد ، وأ.د / عبد الفتاح العواري ، و أ د / عبدالمنعم فؤاد ومجلس التحرير

٢ . الرد على من يدعي أن مفكري الإسلام كانوا مجرد نقلة لتراث اليونان، واثبات العكس أن مفكري الإسلام حافظوا على تراث اليونان ، وأبدعوا بفكرهم الإسلامي الرصين .

٣ . بيان أن مفكري الغرب كانوا عالة في كثير من القضايا الفكرية على مفكري الإسلام وسيكون (ابن رشد) أنموذجا لهذا الاثبات .

٤ . إقامة مشروع علمي متكامل يثبت أثر مفكري الإسلام على مفكري الغرب سواء في القرون الوسطى والذي يوجد به بعض الدراسات ، أو في العصر الحديث والذي تقل فيه الدراسات العلمية .

خطوات البحث وخطته :

يتكون البحث من أربعة مباحث يسبقها مقدمة ويتلوها خاتمة

١ . المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وخطة البحث وخطواته

٢ . **المبحث الأول :** ابن رشد حياته ومؤلفاته

٣ . **المبحث الثاني :** ترجمة فلسفة ابن رشد إلى العالم الغربي

٤ . **المبحث الثالث :** أثر ابن رشد على مفكري الغرب في القرون الوسطى

٥ . **المبحث الرابع :** أثر ابن رشد على مفكري الغرب في العصر الحديث

٦ . **الخاتمة :** وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته .

وبعد

فمن المعلوم أن عمل الأجيال يؤدي إلى مشروع فكري جماعي من خلاله تتحقق النهضة الإسلامية ، أمَّا التعظيم والتبجيل ، أو النكران والجحود ، أو الإهمال عن غير قصد ، أو الاستبعاد عن قصد ، فإنه

يؤدي إلى تجفيف النهيرات حتى لا تصب في النهر الكبير ، وهو نهر الفكر والثقافة ، ومن ثمَّ تتوقف النهضة الفكرية المعاصرة .

وهذا أمر معلوم على مدار الفكر البشري فلقد طوَّر "أفلاطون" معاني "سقراط" ، فنقد "أرسطو" هذه النظرية ، وقلبها رأساً على عقب ، كما طور أتباع "هيجل" فكره ، ثم جاء "ماركس" وقلب فكر "هيجل" رأساً على عقب واضعاً رأسه على الأرض ، وقدميه إلى السماء ، ونقد المسيح اليهودية المحرفة ، ونقد الإسلام المسيحية واليهودية المحرفتين ، ومع ذلك عاشت الفلسفة اليونانية ، وتعددت مدارسها ، كما عاشت الفلسفة الحديثة ، وتعددت رؤاها ، وسيبقى الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن ثم فالمطلوب منَّا كباحثين : القراءة ، والتأمل ، ومحاولة إعادة البناء والتركيب ، ونقل عمل الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة ، وإظهار مكانتهم ، فلولا الأجيال السابقة التي قيضها الله . سبحانه وتعالى . ما وصل إلينا الإسلام ، أو لوصل إلينا مشوها بآراء ، وأفكار الفرق المخالفة، ولكن كان علماء الإسلام لهم بالمرصاد فبينوا عقيدة أهل السنة والجماعة، وقاموا بالرد على الفرق المخالفة ودحض آرائهم ، والمطلوب منا كباحثين إظهار تاريخنا ومجد مفكرينا ، وكيف أنهم ساهموا في تقدم الحضارة الإنسانية ، وأنهم أسهموا بجانب كبير في الفكر الغربي المعاصر

المبحث الأول : ابن رشد حياته ومؤلفاته

اسمه ونسبه وكنيته:هو محمد ابن أحمد ابن رشد الأندلسي، يكنى بأبي الوليد الفيلسوف من أهل قرطبة، ويسميه الإفرنج Averoes عنى بكلام أرسطو وترجمته إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة" [١].

مولده:"ولد ابن رشد في عام (٥٢٠هـ، ١١٢٦م) في قرطبة وكان ينتمي إلى أسرة أندلسية عريقة معروفة بالعلم والفقه والقضاء، فجده القاضي أبو الوليد محمد بن رشد من كبار فقهاء المالكية الذين كان لهم أثر في السياسة المغربية وتميزوا بالدين والعلم والفضل، والوقار، والحلم والسمت الحسن، والهدى الصالح، وله كتاب (المقدمات في الفقه) أما والده أبو القاسم أحمد ابن رشد قاضي قرطبة، فكان مثل أبيه في الفضل والعلم ومن المحبين إلى الناس وحسبه أن يقال فيه أنه ابن الجد وأبو الحفيد الفيلسوف" [٢].

(١) الزركلي / خير الدين: الأعلام، دار العلم للملاين، ط١٥/ ٢٠٠٢م، ٣١٨/٥، وانظر الذهبي/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق
مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥، ٢١/ ٣٠٧.

(٢) صليبا/ جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب العالمي، ط٣، ١٩٩٥م، ج٢، صـ٤٤٣.

حياته: "نشأ ابن رشد الحفيد في هذه البيئة الزاخرة بالعلم والفضل، فدرس ما يدرسه أبناء زمانه من اللغة، والأدب، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، فاستظهر على أبيه موطأ الإمام مالك، وأخذ الفقه عن ابن بشكوال[١]،وأبى مروان ابن مسرة[٢]، وغيرهما ودرس الرياضيات والطب وغير ذلك من علوم الحكمة على أبى جعفر ابن هارون الترجالي[٣]، فبرز ذلك، لشدة ذكائه، وكثرة عنايته بالمطالعة، حتى قيل إنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عَقِل، إلا ليلة وفاة أبيه، وليلة بنائه على أهله، ولما بلغ (ابن رشد) السابعة والعشرين من عمره سنة ١١٥٣م سافر إلى مراكش واتصل بعبد المؤمن أول ملوك الموحدين، وكان هذا الملك آخذًا في إنشاء المدارس ومعاهد العلم والأدب، فاستعان (بابن رشد) على إنشائها

(١) ابن بَشْكُوَال: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجيّ الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم: ولد سنة ٤٩٤هـ، مؤرخ بحاثة، من أهل قرطبة، ولادة ووفاة. ولي القضاء في بعض جهات إشبيلية. له نحو خمسين مؤلفا، أشهرها (الصلة) في تاريخ رجال الأندلس، جعله ذيلا لتاريخ ابن الفرضيّ، ومن كتبه (تاريخ) في أحوال الأندلس، نقل عنه صاحب نفح الطيب كثيرا، و (الغوامض والمبهمات) اثنا عشر جزءا، وأما من سمع منه وروى عنه فلا يحصون كثرة توفي سنة ٥٧٨هـ (الأعلام / خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ ٣١١/٢، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، ت٧٩٩هـ، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ٣٥٣/١، ٣٥٤).

(٢) ابن مَسَرَّة (٢٦٩ –٣١٩ هـ)، محمد بن عبد الله بن مسرة، أبو عبد الله: متصوف متفلسف أندلسي، من دعاة الإسماعيلية، من أهل قرطبة. قال الحميدي: (له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتأليف في المعاني، ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ باللَّه منها!) وقال ابن الفرضيّ: (اتهم بالزندقة فخرج فارا، وتردد بالمشرق مدة، ثم انصرف إلى الأندلس. وكان يحرّف التأويل في كثير من القرآن، وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق) (الأعلام/ خير الدين الزركلي ٢٢٣/٦).

(٣) أَبُو جَعْفَر بن هَارُون الترجالي، من أعيان أهل أشبيلية وكان محققا للعلوم الحكمية متقنا لها معتنيا بكتب أرسطوطاليس وغيره من الحكماء المتقدمين فاضلا في صناعة الطب متميزا فيها خبيرا بأصولها وفروعها حسن المعالجة محمود الطريقة، وخدم لأبي يعقوب والد المنصور، وكان من طلبة الفقيه أبي بكر بن العربي لازمه مدة واشتغل عليه بعلم الحديث، أصله من ترجالة من ثغور الأندلس، وتوفي بأشبيلية. (عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس ابن أبي أصيبعة، ت: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت ص ٥٣٠).

وتنظيمها، وليس لدينا عن المرحلة التي تلي هذه الفترة من حياته إلا معلومات مبهمة منها اتصاله بأبناء زهر وهم من مشاهير الأطباء، وانعقاد أواصر المودة بينه وبين أبى مروان ابن زهر، حتى قيل أنه لما ألف كتاب (الكليات) في الطب سأل صديقة أبا مروان أن يؤلف كتابًا يضمنه الأقاويل الجزئية المطابقة للكليات، وهكذا ألف أبو مروان ابن زهر كتاب سماه (التيسير) ذكر فيه علامات الأمراض المختلفة، وأسبابها، وطرق علاجها.

وظل (ابن رشد) في مراكش حتى مات (عبد المؤمن)[1]، وخلفه على عرش المغرب ولده أبو يعقوب يوسف[2]، الذي كان أكثر ملوك المغرب حبا للعلم والعلماء.

(١) عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي: سلطان المغرب، الذي يلقب بأمير المؤمنين، الكومي، القيسي، المغربي، مولده: سنة سبع وثمانين وأربع مائة، كان عبد المؤمن يأخذ الحق إذا وجب على ولده، ولم يدع مشركا في بلاده لا يهوديا ولا نصرانيا، فجميع رعيته مسلمون، كان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم، محبا لهم، ويجزل صلاتهم، وسميت المصامدة بالموحدين؛ لأجل خوض المهدي بهم في علم الاعتقاد والكلام، وكان عبد المؤمن رزينا، وقورا، كامل السؤدد، سريا، عالي الهمة، خليقا للإمارة، ولما دخلت سنة ثمان وخمسين، أمر الجيش بالجهاز لجهاد الروم، واستنفر الناس عاما، ثم سار حتى نزل بسلا، فمرض، وجاءه الأجل بها، في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ٥٥٨هـ، وارتحت المغرب لموته، وكان قد جعل ولي عهده ابنه محمدا، وكان لا يصلح لطيشه وجذام به ولشربه الخمر، فتملك أياما، وخلعوه، واتفقوا على تولية أخيه يوسف بن عبد المؤمن، فبقي في الملك اثنتين وعشرين سنة، وخلف عبد المؤمن ستة عشر ولدا ذكر، الذهبي/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ٢٠/ ٣٦٦: ٣٧٥.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على: سلطان المغرب والأندلس وثاني سلاطين الدولة الموحدية التي حكمت الأندلس والمغرب بعد سقوط دولة المرابطين العظيمة، ولد في تينملّل بالمغرب في شهر رجب سنة ٥٣٣هـ، وتولى السلطنة بعد وفاة أبيه «عبد المؤمن» مؤسس الدولة، في جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ، كان يوسف بن عبد المؤمن عادلاً حازمًا دينًا خبيرًا بشئون الحكم والملك، وكان من العلماء الأدباء حافظًا للقرآن الكريم، من رواة الحديث المتقنين، حتى أنه كان يحفظ صحيح البخاري بسنده الخاص به، ورغم أرومته البربرية كان شديد الفصاحة باللغة العربية، يعلم أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، لذلك انتظم في بلاطه أعظم علماء وأدباء العصر، أما أفضل خصاله، فهي شغفه الكبير بالجهاد في سبيل الله، ويكفي دليلاً على حبه للجهاد أنه قد قتل في معركة شترين الشهيرة بالأندلس وهذا في غاية الندرة أن يقتل سلطان الدولة وقائد الجيش في المعركة مما يبرهن على مدى صدق حبه للجهاد، وقد أصابته إصابات بالغة في هذه المعركة توفي على إثرها في ١٨ ربيع الآخر ٥٨٠هـ . ٢٩ يوليو ١١٨٤م، (الكتاب: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (المتوفى: ١٣١٥هـ)، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، ١٤٦/٢: ١٥٦).

ابن طفيل وابن رشد

كان (ابن طفيل)[١] أحد الفلاسفة المقربين لأبي يعقوب يوسف سلطان المغرب والأندلس ، فجمع له العلماء من كل حدب وصوب، وحمله على تكريمهم، وهو الذي لفت نظره إلى (ابن رشد) ودبر أمر قدومه عليه"[٢]

وتحدث عبد الواحد المراكشي عن هذا اللقاء بالتفصيل فقال :" أخبرني تلميذه الفقيه الأستاذ أبو بكر ابن يحيى القرطبي قال: سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مره: لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب وَجَدته هو وأبو بكر ابن طفيل ليس معهما غيرهما، فأخذ أبوبكر ابن طفيل يثنى على ويذكر بيتي وسلفي، ويضم بفضله إلى ذلك أشياء لا يبلغها قدري، فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين، بعد أن سألني عن إسمي واسم أبى، ونسبى، أن قال لي ما رأيهم في السماء – بعني الفلاسفة – أقديمة هي أم حادثة، فأدركني الحياء والخوف، فأخذت أتعلل، وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم أكن أدرى ما قرر معه (ابن طفيل) فَفَهِمَ أمير المؤمنين منى الروع والحياء، فالتفت إلى (ابن طفيل) وجعل يتكلم عن المسألة التي سألني عنها، ويذكر ما قاله أرسطو طاليس وأفلاطون، وجميع الفلاسفة، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم،

(١) ابن الطُّفَيْل (٤٩٤هـ –٥٨١ هـ) محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر: فيلسوف. ولد في وادي آشِ وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثم أصبح طبيبا للسلطان أبي يعقوب يوسف (من الموحدين) سنة ٥٥٨هـ واستمر إلى أن توفي بمراكش، وحضر السلطان جنازته. وهو صاحب القصة الفلسفية (حي بن يقظان) وكانت بينه وبين ابن رُشْد (الفيلسوف) مراجعات ومباحث، في (رسم الدواء) جمعها ابن رشد في كتاب، (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٤٩).

(٢) تاريخ الفلسفة العربية: صـ٤٤٤، وانظر سير أعلام النبلاء، ط١٩٨٥م، ٢١/ ٣٠٨.

فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن والمتفرغين له، ولم يزل يبسطني حتى تكلمت، فعرف ما عندي من ذلك، فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب" (١)

وتحدث المراكشي عن طلب (ابن طفيل) من (ابن رشد) تلخيص كتب أرسطو وشرحها فقال: " أخبرني تلميذه المتقدم الذكر عنه قال : استدعاني أبوبكر بن طفيل يومًا فقال لي :سمعت اليوم أمير المؤمنين يشتكى من قلق عبارة أرسطو طاليس، أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه، ويقول :لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهمًا جيدًا لقرب مأخذها على الناس، فإذا كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، وإني لأرجو أن تفي به، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي منه، قال أبو الوليد :فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس"(٢).

وكان لهذا الاجتماع أثر كبير في تغيير حياة ابن رشد فلقد وصل إلى منصب قاضي القضاة لقرطبة هذا المنصب الذي كان يشغله جده وأبوه.

"ولما توفي أبو يعقوب وخلفه ابنه يعقوب أبو يوسف الملقب بالمنصور سنة ١١٨٤م، لقي ابن رشد على يده ما لقيه عند والده من حظوة وتكريم، وكان المنصور كأبيه محبًا للعلم وأهله، فلما استدعى ابن

(١) المراكشي/ عبد الواحد ال مراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، صـ١٧٩.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: صـ١٧٩.

رشد، قربه واحترمه احترامًا كبيرًا وأجلسه إلى جانبه، وقد روى ابن أبى أصيبعة أن ابن رشد لما خرج من عند المنصور، وجماعة الطلبة وكثير من أصحابه ينتظرونه لتهنئته بمنزلته عند المنصور قال: (والله إن هذا ليس مما يستوجب الهناء عليه، فإن أمير المؤمنين قربني دفعة إلى أكثر مما كنت أوأمل فيه، أو يصل رجائي إليه) وظل ابن رشد يتقلب في هذه النعم حتى نقم عليه المنصور، وعزله من منصبه ونفاه إلى (اليسانه) وهي بلدة يهودية قريبة من قرطبة، وذلك حوالي سنة ١١٩٥م، وقد اختلف المؤرخون في أسباب محنه ابن رشد"(١)

ولكن حياة ابن رشد لم تطل بعد زوال محنته: "فقد مات ابن رشد في مراكش يوم الخميس الموافق التاسع من صفر ٥٩٥ هجرية –١١ من ديسمبر ١١٩٨م، وهذا هو التاريخ الذي عينه الأنصاري ونعلم من الأنصاري أن ابن رشد دفن في مراكش، وذلك في الجبانة الواقعة خارج باب تاغروت، فلما مضت على وفاته ثلاثة أشهر حمل إلى قرطبة حيث دفن في روضة سلفه بمقبرة ابن عباس والواقع ابن عربي يروى أنه شاهد تحميل جثته على دابة لتنقله إلى قرطبة ويؤكد ليون الأفريقي من ناحية أخرى، أنه شاهد قبره وكتابة لحده في مراكش بالقرب من باب الدباغين"(٢).

<u>مؤلفات (ابن رشد):</u> ألف ابن رشد كتبًا ورسائل عديدة في شتى العلوم التي كانت معروفه في عصره واختلف المؤرخون في عدد مؤلفاته، ولكنها في الأغلب لا تقل عن سبعين مؤلفا: "وقد ذكر (رينان) عن

(١) تاريخ الفلسفة العربية:٤٤٦.

(٢) رينان/ أرنست رينان: ابن رشد والرشدية اللاتينية، ترجمة، عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، صـ٤٤ :٤٦.

فهرست عربي في خزانة (أسكوريال) رقم (٨٧٩) مشتمل على قائمة كتب (ابن سينا، والفارابي، وابن رشد) فيظهر في هذه القائمة باسم (ابن رشد) ثمانية وسبعون كتابًا (في الفلسفة، والطب، والفقه، وعلم الكلام) ويحصى (ابن أبى أصيبعة) وحده خمسين كتابًا على الأقل"[١].

"**وقد قسمها (رينان) الى أقسام منها:**

اولًا: الرسائل الفلسفية منها:

- تهافت التهافت.
- جوهر الأجرام السماوية أو تركيب الأجرام السماوية.
- رسالتان في " اتصال العقل المفارق بالإنسان ".
- شرح رسالة ابن باجة [٢]في اتصال العقل بالإنسان.
- مسائل في مختلف اقسام المنطق التي تضاف عادة إلى الشروح.
- كتاب المسائل البرهانية وقد جاء عقب التحليلات الثانية في الطبعات اللاتينية.
- القياس الشرطي وقد ذكر في قائمة الأسكوريال.
- خلاصة المنطق.
- جوامع سياسة أفلاطون وقد ذكر في قائمة الأسكوريال.
- مسألة الزمان.

---

(١) ابن رشد والرشدية اللاتينية: صـ٧٩.

(٢) ابن باجَّة: (٥٣٣ هـ -١١٣٩ م) محمد بن يحيى بن باجَّه، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي: من فلاسفة الإسلام. ينسب إلى التعطيل ومذهب الحكماء. ولد في سرقسطة، واستوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غرناطة ثم سرقسطة، وذهب إلى فاس فاتهم بالإلحاد، ومات فيها، قيل: مسموما، قبل سنّ الكهولة، والإفرنج يسمونه (Avenpace) حمل عليه الفتح بن خاقان (في قلائد العقيان) حملة شديدة، وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات والفلك والطب والموسيقى، شاعرا مجيدا، عارفا بالأنساب، شرح كثيرا من كتب أرسطاطليس وصنف كتبا ذكرها ابن أبي أصيبعة (في طبقات الأطباء) ضاع أكثرها وبقي ما ترجم منها إلى اللاتينية والعبرية، ومما بقي من كتبه (مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات – خ) و (رسالة الوداع – ط) مع رسالتين من تأليفه، هما (اتصال العقل) و (النبات) وكتاب (النفس – ط) و (تعليق على كتاب العبارة للفار أبي – خ) من إملائه، (الأعلام للزركلي ١٣٧/٧).

ثانيًا: مؤلفاته في علم الكلام ومنها:

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.
- مقالة في أول ما يعتقده المشاؤون وما يعتقده المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم.
- كتاب المناهج في أصول الدين وقد ذكره ابن أبى أصيبعة كما ذكر في قائمة الإسكوريال.
- شرح عقيدة الإمام المهدى وقد ذكر في قائمة الإسكوريال ولا ريب في أن هذا الكتاب يتناول بالبحث عقيدة مهدى الموحدين: أبى عبد الله محمد بن تومرت.

ثالثًا: مؤلفاته في الفقه ومنها:

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه وقد ذكر هذا الكتاب ابن الآبار ومحمد بن علي الشاطبي وابن أبى أصيبعة، كما ذكر في قائمة الإسكوريال.
- كتاب مختصر المستصفى في الأصول للغزالي وقد ذكره بن الآبار وورد ذكره في قائمة الإسكوريال.
- كتاب التنبيه إلى الخطأ في المتون في ثلاثة أجزاء وقد ذكره ليون الأفريقي.
- كتاب الدعاوى في ثلاثة مجلدات توجد نسخة عربية في الإسكوريال رقم ١٠٢١، ورقم ١٠٢٢.
- الدرس الكامل في الفقه، توجد نسخة عربية منه في الإسكوريال.

رابعًا: مؤلفاته في الفلك ومنها: –

- مختصر المجسطي وقد اشير إليه في قائمة الإسكوريال.
- مقالة في حركة الجرم السماوي وقد ذكرت في بن أبى أصيبعة وقائمة الإسكوريال.

- كلام على رؤية الجرم الثابتة بأدوار وقد ذكرت هذه الرسالة في قائمة الإسكوريال.

خامسًا: مؤلفاته في النحو ومنها: -

- كتاب الضروري في النحو وقد ذكره بن الآبار وذكر في قائمة الإسكوريال.
- كلام عن الكلمة والاسم المشتق وقد ذكر في قائمة الإسكوريال.

سادسًا: مؤلفاته في الطب: -

- الكليات وهي درس كامل للطب في سبعة أجزاء.
- شرح أرجوزة ابن سينا في الطب وهذا الكتاب من أوسع مؤلفات ابن رشد انتشارًا.
- مقالة في الترياق.
- تلخيص كتاب الحميات لجالينوس وهو من الشرح الأوسط.
- تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس في ثلاثة مقالات.
- تلخيص كتاب العلل والأعراض لجالينوس في سبعة مقالات.
- تلخيص كتاب المزاج لجالينوس" [1].

ومن أهم أعمال "ابن رشد" شرح كتب أرسطو والذي قام بشرحها ثلاث مرات الأولى شرحها شرحًا وجيزًا، والثانية شرحًا متوسطًا، والثلاثة شرحًا مطولًا.

ومن خلال تنوع مؤلفات "ابن رشد" نرى أنه فيلسوف مفكر متكلم ذا أهمية كبرى في الفلسفة والعلم.

(١) سير أعلام النبلاء، ط٣ ١٩٨٥م، ٢١/ ٣٠٨، ٣٠٩، وانظر ابن أبي أصيبعة / أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (المتوفى: ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، صـ٥٣٢، ٥٣٣، وانظر ابن رشد والرشدية اللاتينية: صـ٨٠ :٩٢.

المبحث الثاني : ترجمة فلسفة ابن رشد إلى العالم الغربي

يسلط هذا المبحث الضوء على عملية ترجمة ونقل التراث الإسلامي إلى العالم الغربي ،وخاصة تراث ابن رشد ، والآثار التي تركتها هذه الترجمات وموقف الكنيسة منها، فيقدم خلاصة عن أهم الأسباب الاقتصادية والثقافية التي دفعت العالم الأوروبي لنقل وترجمة تراث المسلمين، فالعالم الغربي كان يمر بأزمة حضارية خانقة ووجد في تراث المسلمين وسيلة للتجديد الفكري، ففتحت عدة مراكز للترجمة ونقل علوم المسلمين في مدن طليطلة وصقلية والقسطنطينية،...وقد أحدثت هذه التراجم حركة فكرية في أوروبا ،وخاصة ما عرف بالحركة الرشدية التي كانت نتيجة نقل التراث العقلاني لفيلسوف قرطبة ابن رشد، اذ خلقت تيارين الأول مناصر تمثل بالفرنسيسكان وجامعة باريس، والآخر رافض تمثل بالإخوة الدومنيكان، ونظرا للآثار التي أحدثها تراث المسلمين المترجم فقد وقفت الكنيسة منه موقفا سلبيا تمثل بتحريمه وتكفير متبنيه مرورا بالاستعانة بآثار هذا التراث بعضها على بعض، فاستعانوا بكتب الغزالي للرد على أفكار ابن سينا وابن رشد، علما ان الاستعانة بكتب الغزالي تم عن طريق تحوير كتبه وتغيير شواهدها من الآيات القرآنية إلى شواهد انجيلية وتنسب هذه المؤلفات إلى مفكري الغرب الذين تأثروا بشكل واضح بمفكري الإسلام ، وهذا يدل على أن الحضارة الإسلامية مثلت مرحلة مضيئة في تاريخ البشرية بما أنتجته عقول أبنائها من صنوف المعرفة، وبما نقلوه من تراث الآخرين وحافظوا عليه وطوروه، اذ شكلت هذه الحضارة ثراء للعقل الإنساني، فقد وصل أثرها الى مختلف مناطق المعمورة وفي الكثير منها كان لها دوراً تأسيسيا في النهضة البشرية المعاصرة .

فالتراث الإسلامي عرف بثرائه وتنوعه في مختلف فروع المعرفة المتداولة في تلك المراحل الزمنية، ولعل مما يؤسف له ان كما هائلا من

هذا التراث لايزال في مختلف مكتبات العالم حبيس مخطوطات ينتظر جهودا استثنائية تبذل في سبيل إخراجه الى النور.

ولعل الفلسفة واحدة من أهم تلك الموضوعات التي اهتم العرب والمسلمون بترجمتها ونقلها الى اللغة العربية، وقد وجدت في البيئة العربية ظرفا مناسبا للنمو، ولذا ازدهرت مباحث الفلسفة عند المسلمين وعالجت إشكاليات مفصلية في الوعي الإسلامي مثل مسائل الإلهيات وعلاقة الدين بالعقل.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تعيش مرحلتها الذهبية كانت أوروبا في أسوأ حالاتها من التخلف وتسلط الفكر الكنسي بنسخته المتحجرة، وكانت الحاجة تبدو أكثر إلحاحا يوما بعد آخر للتخلص من هذا الواقع السيئ لذا عمل الكثير من الأدباء والمثقفين على إنارة الوعي والتأسيس لثقافة الحرية، وكان الزاد الذي أسعفهم في مهمتهم هذه هو فلسفات الحضارة الإسلامية وعلومها، التي دخلت بقوة إلى العالم المسيحي بعد ان فتحت عدة مراكز لترجمة هذه العلوم.

وهذا المبحث يقف عند هذا الموضوع الحيوي ويسلط الأضواء عليه من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أسباب اللجوء إلى التراث العربي الإسلامي:

إن التغيرات التي طرأت على الحياة في العالم الغربي ولدت فجوة كبيرة من الفراغ الفكري والثقافي، الأمر الذي هيأ الأرضية في العالم المسيحي لاستقبال المنجز الثقافي العربي والإسلامي ، وخاصة في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ، وهي الفترة التي سبقت النهضة الفكرية في العصور الوسطى.

فعلى المستوى الديني، فان اقبال المفكرين اللاتنيين على الفكر الإسلامي، جاء نتيجة لشعورهم بالحاجة اليه، هذه الحاجة التي بدأت تظهر منذ حوالي (١٧٠٠م) بفعل نمو المعارف والتطور في القوى

العقلية، فاخذ الاهتمام يتحول من مناقشة مضمون الوحي إلى التعمق فيه بالبرهان، فلم يعد الإله بالنسبة لرجال الدين الجدد محبة فحسب، بل حقيقة أيضا؛ لذا شرعوا بدراسة العقيدة دراسة عقلية، واخذ إيمانهم يحث على الفهم والتعقل [١].

ان هذا الصعود المتدرج للعقل في الأوساط الدينية كانت تحوطه محاولات متكاملة في إيجاد حالة من الانسجام مابين العقل والوحي، مثل محاولة القديس أوغسطين (٤٣٠م) في جعله العقل ممهدا للإيمان ، والإيمان ممهدا للعقل في مقولته:(اؤمن كي أتعقل، و أتعقل كي أؤمن) ومحاولة القديس أنسلم (١١٠٩م) (الإيمان باحثا عن العقل)، غير ان محاولات التوفيق بين الدين والعقل وجدت تراثا ضخما عند المسلمين دفع بعض الطموحين للاستقواء به، مما أسهم في انتشار الأنموذج الإسلامي في العالم اللاتيني [٢].

وكان الغرب قد تطلع إلى هذه المنطقة، لذا وفد الى الشرق رواد العلم حتى من الجزر البريطانية، وكان من اشهر هؤلاء (ادوارد الباثي) و(ميخائيل سكوت)، فقد رحل الاول الى اسبانيا وتوقف في جنوبي ايطاليا، ثم توجه الى الديار الشامية ونقل الكثير من الكتب في الرياضيات والفلك بينها حمل من مؤلفات المجريطي، وله اثر كبير في تعريف العالم اللاتيني بالفكر العربي، بفضل أسفاره البعيدة وترجماته الكثيرة [٣].

وتوجه الثاني من اسكتلندا الى اسبانيا، وفي طليطلة تعلم العربية، وعمل على ترجمة كتب في الفلك منها (كتاب الهيئة) للبطروجي، ثم قصد

---

(١) ينظر: ادوارد بروي، تاريخ حضارات العالم- القرون الوسطى، نقله الى العربية، يوسف اسعد داغر، وفريد داغر،عويدات للنشر والطباعة، بيروت-لبنان،٢٠٠٣م، مج٤،ص٣٢٦.

(٢) ينظر: د.حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص١٥٠.

(٣) ينظر: د.كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٦،ص٣٥٠.

صقلية واستأنف فيها نشاطه العلمي، وكانت مدينتا: طليطلة وصقلية من ابرز المدن التي نشطت فيها حركة الترجمة، ومن اشهر رعاة العلم في الأولى الأسقف (ريموندو ١١٥١م)، وفي الثانية (فردريك الثاني ١٢٥٠م)، ومن المترجمين الذين اشتهروا قبله في صقلية (كرومر الاول ١١٠١م)، وفي اسبانيا بعد ريموندو (الفونسو الحكيم ١٢٨٤م) ملك قشتالة.

ولم يقف نشاط هؤلاء عند جمع الكتب وتنشيط حركة الترجمة، بل عمدوا الى تنشيط حركة التأليف في المواضيع العلمية على اختلافها ويسروا للمؤمنين الأصول العربية، والترجمات العربية للأصول اليونانية فضلا عن الشروح والتعليقات مستعينين في ذلك كله بعلماء اليهود وأعلام المستعربي[١]

وأيضا أسهم العامل السياسي في نقل تراث المسلمين الى العالم اللاتيني، تمثل ذلك في هجرة جماعات من يهود الأندلس الى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا، وذلك على اثر الاضطهاد الذي لاقوه من المرابطين ثم من الموحدين، ويكفي لمعرفة اهمية اليهود في هذا الموضوع ان نعرف انهم فيما يخص الفكر العربي وطلائع النهضة اللاتينية في الغرب، قاموا بنفس دور السريان في نقل الفكر اليوناني والإسهام في النهضة العلمية في الشرق[٢].

فقد حمل اليهود ما كان في حوزتهم من كتب العرب واستأنفوا نشاطهم الفكري في مواطنهم الجديدة، وكان من رغبتهم في العلوم ان اقبلوا بهمة على نقل تلك العلوم الى العبرية غير ان حبهم للكسب حولهم

(١) ينظر: د.كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٤٧

(٢)ينظر: د.كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٤٧

الى الاشتغال بالنقل الى اللاتينية، فعملوا في كنف رجال من رعاة العلم نظير الاسقف ريموندو في طليطلة،فردريك الثاني في صقلية. وكان من اشهر من اشتهر بالنقل الى اللاتينية (ابراهيم بن عزرا ١١٦٧م) و(يوحنا الاشبيلي ١١٥٣م) و(فرج بن سالم) في اواخر القرن الثالث عشر، وغيرهم(١).

المطلب الثاني : أهم المدن التي احتضنت عملية الترجمة لتراث ابن رشد:

من المراكز التي اهتمت بالتراث الإسلامي هي صقلية وجنوبي ايطاليا، فقد كانت الصلة الفكرية بين العرب واللاتين قوية في صقلية بل كانت هناك ارسخ منها في أي مكان اخر، بدأت الحضارة العربية توثق في صقلية في النصف الثاني من القرن العاشر اذ كانت تابعة لحكم الفاطمي ، ومع ان هذه الجزيرة خضعت بعد حين للفاتحين النورمانديين ، فان معالم الحضارة الشرقية لم تزل عنها، بل انها زهت في عهد (روجر الاول ١١٠١م) لأنه كان من محبي العلم ، ثم بلغت اوجها في عهد حفيده (فردريك الثاني)، الذي انفق بسخاء على ترجمة الاثار العربية الى اللاتينية(٢).

ومن المعروف أنّ الإمبراطور فريدريك الثاني (١١٩٤-١٢٥٠م)، الذي نشأ في جزيرة صقلية التي ورث ملكها عن والدته، كان على خلاف شديد مع الكنيسة وكان يجاهر بآراء مخالفة العقائد الدينية ؛ ولأن آراء ابن رشد مؤثرة وقوية،فقد احتاج إليها (فردريك الثاني) في أوربا في حربه ضد رجال الدين (الكنيسة) فقد أشارت عليه حاشيته أن يستعين بآراء بعض الفلاسفة لتقوي من موقفه،وتدعمه ضد رجال الكنيسة فنصحه المحيطون به بالاستعانة بآراء ابن رشد،فليس هناك أفضل منها ، فأصدر (فردريك

(١) ينظر :المصدر نفسه، ص٣٤١-٣٤٥

(٢) ينظر: د.كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٤٠

الثاني) أمره بترجمة مؤلفاته إلى العبرية بواسطة المترجمين اليهود، وإلى اللاتينية بواسطة مترجمين مسيحيين، فقد استدعى فريدريك الثاني العالم اليهودي (يعقوب آناتولي) من مرسيليا لتدريس اللغة العبرية في جامعة نابولي التي أسسها في سنة ١٢٢٤ مستقلة عن الكنيسة. وهناك قام آناتولي بترجمة شروح ابن رشد الكبيرة . ثم استدعى فريدريك عالما كبيراً آخر هو ميخائيل سكوت الذي كان ترجم سنة ١٢١٧م كتاب الأفلاك للبطروجي في طليطلة، فعهد إليه بأن ينقل من العربية إلى اللاتينية كتب أرسطو وشروح ابن رشد عليها [١].

وتعد إسهامات (ميخائيل سكوت١٢٣٦م) ذات نتائج قيمة لأنه ترجم فلسفة ابن رشد الى العالم اللاتيني وهي كانت لاتزال جديدة حية، لان ابن رشد كان يكتب في القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي) فسهل وصوله الى الغرب والتأثير فيه ولذا يعد سكوت احد مؤسسي المذهب الرشدي اللاتيني [٢]، لان اثرا لابن رشد في العالم الغربي لم يعرف قبل هذا التاريخ(١٢٣١م) خلافا لما يقوله رينان في كتابه (ابن رشد والرشدية) [٣].

ومن المترجمين الآخرين في بلاط فردريك (يعقوب اللومباري) وهو احد اليهود الذين كان يجري عليهم فردريك الثاني الارزاق حتى يساعدوه في مشروعاته التي ترمي الى تبسيط العلوم العربية، وقد ترجم (يعقوب)

(١) ينظر:شاهر احمد نصر، ابن رشد فرصة العرب الضائعة ١٢٠.

(٢) ينظر: د. عبد الواحد ذو النون، موقف الجامعات الاوروبية من ابن رشد في العصور الوسطى، ضمن اعمال مؤتمر ابن رشد وفلسفته بين التراث والمعاصرة،بيت الحكمة، ١٩٩٨، ص٣٩٦.

(٣) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت–لبنان، ص١٢٨.

شرح ابن رشد لكتاب الاورغانون) وانتهى من ترجمته في نابلي عام ١٢٣٢م [١].

ومن المترجمين في بلاط فردريك ايضا (هرمان الارماني ١٢٧٢م)، الذي نقل مجموعة من كتب ابن رشد الى اللاتينية فقد نقل سنة ١٢٤٠م الشرح الأوسط لابن رشد على (الاخلاق النيقوماخية) لارسطو، وفي سنة ١٢٥٠م، نقل كتاب (الخطابة) لأرسطو عن العربية،مع توضيح النص العربي او تكميله بالرجوع الى الفارابي وابن سينا، وقد نقل شرح الفارابي على هذا الكتاب، وفي سنة ١٢٦٥م نقل الشرح الأوسط لابن رشد على كتاب أرسطو في الشعر [٢].

وبدأت هذه المؤلفات المترجمة تأخذ طريقها للاحتفاء والاحتفال بها من قبل الفلاسفة في جامعات فرنسا وإيطاليا، وقد أطلقت عليها (الرشدية اللاتينية).

وحتى يتضح للقارئ مدى عمق أثر الابن رشدية وإمعانها فى خلخلة الأفكار السائدة خلال ذلك الزمان الغابر، أود أن أنوه الى ان طليعة مثقفي اوروبا القرون الوسطى كانوا يُصنفون بكون الواحد منهم ابن رشدي Averroist من عدمه! وقد خلّد رسام العصور الوسطى رفائيل ابن رشد بان رسمه في لوحته المسماه «مدرسة اثينا»، والتي تُخلد عظماء الفكر الأوروبي، بجانب أفلاطون وأرسطو [٣] .

(١) ينظر:د. محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند تومالاكويني، مكتبة الانجلو المصرية، ص٦١.

(٢) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت–لبنان، ص١٢٨.

(٣) ينظر:محمد البخيت، ابن رشد بين مدرسة اثينا وجحيم مايكل انجلو، صحيفة الشرق الاوسط، العدد ٨٥٣٩، ٢٠٠٢.

المبحث الثالث :

أثر ابن رشد على الفكر الغربي في القرون الوسطى

لقد أثبت العلماء والباحثون القدامى والمعاصرون مستشرقون ومسلمون ما لا يدع مجلا للشك على الأثر العظيم الذي أحدثه ابن رشد على الفكر الغربي في القرون الوسطى وسنوضح ذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: الدراسات الغربية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى :

✱ ***دراسات أرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢م:*** فقد أثبت "أرنست رينان " في كتابه " " ابن رشد والرشدية " الوجود العربي ، حينما أقام بحثه على وجود رشدية لاتينية ، وأشار إلى أثر "ابن رشد" في الفلسفة المسيحية كشارح من الدرجة الأولى لأرسطو ، ولكنه قدمها للناس على أنها: حركة ضد المسيحية ، على أي حال وجد اتجاه عربي لاشك فيه ، وإن كان غير قويم لدى "رينان " [١] .

✱ ***دراسات "بيير موندوريه Pierre mondorret ":*** وهو الذي أكد في دراساته –كما يقول أستاذنا /الفيومي– على أثر الرشدية على الفكر الأوربي في القرن الثالث عشر الميلادي [٢] .

✱***: القديس "توماس الأكويني*** ت: ١٢٧٤م "وهو من عمد الفكر الأوربي في العصر الوسيط قد تأثر بـ "ابن رشد " في شرحه للعلاقة بين الوحي ، والمعرفة الفلسفية ، وتابعه في الفيض من العقل الفعال .

✱ ***بل إن "أسين بلاثيوس asinpalacios :*** بين في بحث له على أساس مقارنة النصوص التي عند "ابن رشد " ، و"توماس الإكويني "

(١) ينظر المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت د/ محمود زقزوق ص٥٥ .

(٢) ينظر ملاحظات على الفلسفة الإسلامية ص ١٠٦ .

أن الاتفاق بينهما لم يقتصر على وجهة النظر الإجمالية ، والأفكار ، والأمثلة ، بل كان في الألفاظ أحيانا ، وهذا يرجع إلى أن القديس "توماس " عرف آراء "ابن رشد" ، وانتفع بها [١] .

وأن الرشدية : عاشت في أوربا عدة قرون ، وأسهمت إسهاما عظيما في قضية الحرية الفكرية في القرون الوسطي في أوربا ، فقد كان "ابن رشد " نقطة انطلاق جديدة في العالم الغربي ، وقد بشر بالمذهب العقلي الذي ساد في عصر النهضة الأوربية [٢] .

ولاشك أن أثر الفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي في العصر الوسيط واضح لا لبس فيه ، بشهادة العلماء ، والباحثين خاصة المستشرقين .

أمَّا ما ذكره البعض منهم مثل **دراسات البلجيكي : موريس دي فولف : mauricedewulf** ": الذي كان من أشهر المدافعين ضراوة عن مفهوم الوحدوية للتفكير المسيحي ، وأكبر عدو لدود لقبول النزعات العربية ، وتأثيرها على الكتاب المسيحيين ، وكذا ***دراسات شماس البلجيكي تلميذ "موريس "وهو" فردينانند فان استينبرج":*** فهذا الشماس تابع رأي أستاذه في إثبات التفكير الوحدوي المسيحي ، فهو يزعم أننا لا نستطيع أن نقبل تيارات مستقلة ، ولا بمذهب سيناوي ، ولا بمذهب رشدي لاتيني قويم ، وهذا أمر واضح في نظره ، فهذا كله من باب التعصب الأعمى للجنس ، ولذا فقد حاولت قدر استطاعتي أن أستعين بمراجع مترجمة لمؤلفين أوربيين حتى يتأكد الأمر لدي القارىء بما لا يدع مجالا للشك لديه .

---

(١) راجع المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت د/ محمود زقزوق ص ٥٥، ٥٦ ،وراجع ابن رشد وفلسفته ص ١٦٩ وراجع تراث الإسلام ٢ /٢٦٢ .

(٢) راجع المصدر السابق ص ٥٥ ،٥٦ ،وراجع الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٤٦ ،

وأكتفي هنا بذكر كلمه لعالم أسباني معاصر ركز على أثر الفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي في القرون الوسطي وهو:

❋ سلفادور جومتَ نوجالس Gomez Nogales .s حيث يقول : أنا مقتنع كل الاقتناع بوجود تأثر مباشر للفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي في القرون الوسطي ، ولولا هذا التأثر، ما كانت الفلسفة المسيحية تقدر على اجتياز تلك الخطوة العملاقة التي نقدرها عند عباقرة الفلسفة المدرسية أمثال القديس " توماس" ، أو على الأقل لم تكن لتخطو تلك الخطوة العملاقة بنفس السرعة التي تظللنا[١].

المطلب الثاني : الدراسات الشرقية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى

إذا نظرنا في الدراسات الشرقية من المعاصرين مسلمين وغير مسلمين نجد أنها تؤكد الأثر الكبير لابن رشد على الفكر الغربي ومن هذه الكتابات ما يلي :

١- **محمد يوسف موسي:** تحدث عن أثر "ابن رشد" على فلسفة العصر الوسيط في أوروبا فقال:(هنا نجد مجال القول ذا سعة، ونجد الحديث مما يسر روح ابن رشد في سمائه العليا، حيث يقيم في أمن من الله ورضوان، لقد كان اليهود هم الخلف الحقيقي لابن رشد في تكلم العصور الوسطي، وكان في مدرسة ابن ميمون الاستمرار المباشر للفلسفة الإسلامية، ولفلسفة ابن رشد خاصة، كما يقول رينان، وبفضل اليهود بقي لنا جانب غير قليل من كتابات ابن رشد وإخوانه الفلاسفة، مترجمة إلى العبرية، أو بلغتها العربية الأصلية، لكنها مرسومة بحروف عبرية، بذلك وجدت هذه المؤلفات لديهم معاذًا ردَّ

(١) راجع تاريخ الفلسفة الإسلامية وتأثيرها في فكر الغرب ص٦٢ وما بعدها ، وراجع المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ص٥٦، ٥٧.

عنها عاديات الدهر، وعدوان المتعصبين ضد الفلسفة ورجالها، من أسرة الموحدين وغير الموحدين الذين تداولوا ملك الأندلس، وهكذا احتضن اليهود في الأندلس الفلسفة الإسلامية، وأقبلوا على دراستها، فانتفعوا بها أيما انتفاع، حتى إن رينان يقول في ذلك بحق: "إن كل الثقافة الأدبية والعلمية لليهود في العصور الوسطي إن هي إلا انعكاس الثقافة الإسلامية"، وقد كان القرن الرابع عشر الميلادي هو العصر الذي بلغ فيه فيلسوف قرطبة وفلسفته الذروة في الحظوة والسيادة لدي اليهود: لقد صار عندهم الفيلسوف الذي حل محل المعلم الأول، فمؤلفاته صارت موضع الشرح والتفسير، والتلخيص والاقتباس، تبعًا لحاجات التعليم المتعددة، واستمر فيلسوف قرطبة في مكانة المعلم الأول لدي اليهود في تكلم العصور، حتي إذا أدت الفلسفة اليهودية رسالتها، وجاء دور انحطاطها في القرن الخامس عشر، كان ابن رشد أيضًا هو الذي تدرس مؤلفاته، ويتناولها المفكرون والمتفلسفون بالبحث والدراسة من نواحيها المختلفة، وآية ذلك أن الجانب الأكبر من المخطوطات العبرية التي بقيت لنا من مؤلفاته ترجع في تاريخها إلى ذلك العصر، وابن رشد لم يأخذ مكانه ونفوذه لدي اليهود فحسب، فقد نفذت الفلسفة الإسلامية عامة إلى أوروبا وهي في أشد الحاجة إليها، وانتشرت في معاهد التعليم على اختلافها، وكان لكل من رجالاتها مؤيدون ومعارضون، حتي إذا كان القرن الرابع عشر كان لابن سينا وابن رشد، وبخاصة هذا، المكان الأول بأوروبا، حتي أخملا ذكر الآخرين من فلاسفة الإسلام، أما في القرن الخامس عشر، فقد كان ابن رشد وحده هو ممثل الفلسفة الإسلامية في أوروبا، وواحدها الذي يعتمد عليه، ويعتبر رأيه هو المعبر عن هذه الفلسفة، بل إن بعض مفكري تلك العصور

كانوا –كما يذكر رينان– يرون فيه أبا الفلسفة المدرسية، والشارح الوحيد الذي عرفته القرون الوسطي، كان ذلك كله بعد أن فهم اللاتين هذه الفلسفة بحسب وُسعِهِم حينذاك، وبعد أن ترجمت كل مؤلفات ابن رشد المهمة تقريبًا من اللغة العربية إلى اللاتينية، وكان هذا نحو منتصف القرن الثالث عشر كما يقول رينان، ولم تقف مكانة ابن رشد لدى اللاتين في أوروبا عند هذه المنزلة، بل ظلت تزداد علوًا وسموًا في نظر هؤلاء حتي اختصموا من أجله، وصار منهم متعصبون له ومتعصبون آخرون عليه أساطين فلسفة القرون الوسطي، كما كان من بين هؤلاء وأولئك، من ذوي العقول الممتازة الجبارة، من كان يحترمه ويقدره قدره بوصفه أكبر أستاذ ومعلم لهم، ومن كان يري فيه في الوقت نفسه أكبر زنديق وملحد بمذهبه وفلسفته، ليت شعري اين ابن رشد فيرى من يعدُّون أنفسهم اليوم سادة التفكير في العالم يحلون فلسفته المكان العلي، ويجعلون منه المعلم والأستاذ، ويختصمون من أجله، ويكبر الواحد منهم نفسه بالتعصب له أو عليه، من له فيرى كل هذا من الذين غلوا في تقدير أنفسهم غلوًّا كبيرًا، فاخترعوا أسطورة العقلية السامية والعقلية الآرية، وتوهموا علو هذه على تلك عُلُوًّا يرجع إلى الفطرة والطبيعة وأصل التكوين، إنه لو كان في المقدور أن ينزل ابن رشد من عليائه إلى حياتنا الدنيا، ويرى كل هذا، لاغتبط أيَّما اغتباط، ولرجع إلى مستقرة في جنة الخلد مطمئن البال، مرتاح الضمير، بسبب ما قدم للإنسانية من خير) [1]

٢- **<u>عباس محمود العقاد:</u>** تحدث عن أثر فلسفة "ابن رشد" في العصور الوسطي وما أحدثته في أوروبا في العصور الوسطي فقال:(أثر الفلسفة الرشدية: اشتهر أرسطو بين الأوربيين في القرون الوسطي

(١) يوسف/ محمد يوسف موسى: ابن رشد الفيلسوف، مرجع سابق ص٦٩، ٧٠.

باسم الفيلسوف، فإذا ذكر الفيلسوف بغير اسم في كتاب من كتب تلك العصور الوسطي فأرسطو المقصود واشتهر ابن رشد باسم الشارح أو المعقب commentator فإذا قيل الشارح أو المعقب في كلام من كلامهم فابن رشد دون عيره هو المقصود، وقد عرَّف ابن رشد متعلمي القوم بالمعلم الأول وهو لا يعرف اليونانية، ولم يكن شيء من كلام أرسطو قد ترجم إلى اللاتينية أو لغة من اللغات الأوروبية قبل عصر ابن رشد غير كتب المنطق، ثم تنبه علماؤهم إلى ترجمته بعد ذيوع اسم ابن رشد، فطلب القديس توما الأكويني من صديقه "ويليام مويربك" أن ينقل جميع كتبه فنقلها، ولم يظهر عليه غير هفوات من الغلط ببعض السماء لتشابه نطقها، وسائر شروحه بعد ذلك لا غبار من جهة المعني، وقد يقع العارف باليونانية في أخطاء أكثر من الخطاء التي لوحظت على الفيلسوف القرطبي، مالم تكن له فطنة كفطنة ذلك الفيلسوف، وحسب الرجل شهادة لشروحه أن الكتب التي نقلت من اليونانية مباشرة لم تغن عنه، فبعد أن حرم أسقف باريس دراسته في جامعتها وسماه رأس الضلال في منتصف القرن الثالث عشر عادت هذه الجامعة نفسها بعد قرن فأخذت على أساتذتها المواثيق ألا يُعلِّموا فيها شيئًا لا يوافق مذهب أرسطو كما شرحه ابن رشد، وأصبحت كتبه مادة لا تنفد للدرس والمناقشة في البِيَع والأديرة والجامعات، وعلى الرغم من تحريم الاشتغال بالدراسات الدنيوية أو العالمية على الرهبان أقبل على دراسة ابن رشد ومناقشته والاستفادة منه قطبان إمامان في رهبنة الدومينين ورهبنة الفرنسيسيين، وهما توما الإكويني الذي سبقت الإشارة إليه وروجر باكون رائد المدرسة التجريبية التي تممها فرنسيس بيكون، وقد كان من الرهبان من يتحدى أوامر رؤسائه ويمضي، في دراسة ابن رشد بعد تحريمها

كما فعل سيجر دي رابان "١٢٣٥م- ١٢٨٢م" وكان أستاذًا بجامعة باريس، ولم يقلع عن دراستها ونشرها إلا مضطرًا بعد صدور الأمر من رومة "سنة ١٢٦٦م" بتأييد أسقف باريس في قرار التحريم، وكانت كتب ابن رشد وشروحه تترجم وتنشر في الجامعات بأمر ملك من الملوك المستنيرين في ذلك الزمن ولم يكن يبالي ما يقال عنه في المجامع الدينية، وهو فردريك الثاني ملك صقلية وحامي العلم والأدب في زمانه "١١٩٤م- ١٢٥٠م" فإنه كلف العالم الإيقوسي ميخائيل سكوت بترجمة الشروح وأرسلها إلى جامعة بولون وجامعة باريس كأنها مفروضة على طلبة الجامعات، ولم يبق القرن الثالث عشر وما بعده أوروبي يشتغل بالثقافة أو يسمع بأحاديثها إلا عرف شيئًا عن ابن رشد وأعجب به أو رد عليه، ولولم يكن من الفلاسفة والمنقطعين للعلوم، فذكره دانتي الشاعر في الكوميدية الإلهية وناقشه في مسألة الـــروح "١٢٦٥م- ١٣٢١م"، وذكـــره الناســـك ســـفونرولا "١٤٥٢م- ١٤٩٨م" وسماه بالعقل الرباني واستهدف للسخط من جراء الثناء عليه، وما من مدرسة فلسفية نشأت في أوروبا بعد القرن الثالث عشر إلا أمكن أن تنتسب من قريب أو بعيد إلى الثقافة الرشدية، سواء بالاطلاع على تلك الثقافة أو بالاطلاع على تعليقات المعلقين عليها، نقصًا واستنكارًا أو تأييدًا وإعجابًا من كلا الطرفين، فمدرسة الحقيقيين ومدرسة الإسميين إنما هما طرفان في موضوع واحد فتح ابن رشد أبوابه فلم تزل مفتوحة بعده عدة أجيال، ذلك الموضوع هو النفس الفردية والنفس النوعية وما يقال عن الوجود الحقيقي في الأشخاص أو في العقول المفارقة، فالحقيقيون يرون أن النوع هو الوجود الحقيقي الذي يوجد الأشخاص لتمثيله في العالم المحسوس، والاسميون يرون أن وجود النوع إنما هو اسم أو كلمة مالم يقترن

بوجود الأشخاص، وقد كان اثنان من تلاميذ روجرز باكون – تلميذ الثقافة العربية– يعالجان هذه المسألة من طرفيها، وهما سكوتس scots "١٢٦٦م– ١٣٠٨م" مؤيد القول بحقيقة النوع، وأكهام Ockham المتوفي سنة "١٣٤٩م" مؤيد القول بحقيقة الشخص أو الفرد ومسخف القائلين بحقيقة النوع، وحسبك من بعد الأثر الذي أعقبته هذه المناقشة أن لوتر كان يفخر فيقول: أستاذي العزيز أكهام)[١]

٣- **محمود قاسم:** تحدث عن أثر فلسفة "ابن رشد" في العصور الوسطي في أوروبا وبالأخص الأثر الذي أحدثة في "توماس الأكويني" فقال:(يجب علينا أن نبين أن فيلسوفنا كان مصدر وحي استقي منه أكبر فلاسفة المسيحيين حلوله لعدد كبير من المشاكل الدينية، ونعني بهذا المفكر المسيحي توماس الأكويني الذي حرص حرصًا شديدًا على نسبة عدد لا بأس به أيضًا من البدع إلى ابن رشد، وسنضطر اضطرارًا إلى المقارنة بين هذين الفيلسوفين حتي نبين نقط الاتفاق بين مذهبيهما، دون أن نحرص على التسوية بين هذين المذهبين تسوية تامة، ذلك لأننا متي وجدنا خلافًا أو شبه خلاف بينهما فسنكون أسرع الناس إلى التنبيه عليه، فإننا عندما نقارن بين هذين المفكرين لا نرمي إلى هدف آخر سوي الكشف عن الحقيقة، ومع ذلك فسنري أن هناك حالات يبدو فيها تأثير ابن رشد في تفكير توماس الأكويني تأثيرًا واضحًا إلى درجة لا نستطيع معها إلا أن نعجب كيف أحل هذا الأخير لنفسه أن يكتم الحق الذي يعلمه كل العلم ويعرف مصدره خير معرفة، وأن يساهم بنصيب كبير في تشويه مذهب ابن رشد، وأن يؤكد ما ادعاه معاصروه من أن الفيلسوف

(١) العقاد / عباس محمود العقاد: ابن رشد ، من ص٤٩: ٥١.

المسلم كان مارقًا ملحدًا، حقًا درج مؤرخو الفلسفة المسيحية بصفة خاصة على أن النظر على ابن رشد وتوماس الأكويني نظرتهم إلى خصمين لا سبيل إلى رفع الخلاف بينهما، وتلك فكرة خاطئة في جوهرها، لأن أحدهما أخذ عن الآخر شيئًا كثيرًا، وإنما أخذ عنه كل ما أخذ لأنه كان يهدف مثله إلى نفس الغاية، ومعني ذلك أن كلا منهما أراد أن يبرهن على أن دينه يتفق أتم اتفاق مع ما احتوت عليه فلسفة أرسطو من حقائق، ومما يؤكد أن أحدهما يدين للآخر بشيء كثير أنهما لم يتفقا في الغاية فقط، بل اتفقا أيضًا في المنهج الذي سلكاه في هذا التوفيق، كما اتفقا في الحلول التي تكاد تكون واحدة في جميع المشاكل، ذلك انهما يسلمان قبل كل شيء بأن العقل – وهو هبة من الله– لا يمكن أن يكون مناقضًا بحال ما للوحي الذي جاءت به الرسل، وهذه الفكرة أولى بها أن تكون لابن رشد منها لتوماس الأكويني، لأن روح الإسلام توجب استخدام العقل، في حين أن المسيحية – بسبب ما تنطوي عليه من أسرار– تحصر العقل في مجال هو أضيق على كل حال من المجال الذي يحدده له الإسلام من دون ريب، ومهما يكن من شيء فإن الوفاق بين الدين والعقل ليس وليد الصدفة مادام كلاهما ينبع من مصدر واحد، وإذن يجب أن تكون الفلسفة الحقة على وفاق مع الدين، ولذلك فإن الذي يظن أن هناك تناقضًا بين هذين الأمرين إما رجل يجهل الدين وإما رجل يسء فهم الفلسفة، لكن قد يقال كيف عرف توماس الأكويني النظرية الحقيقية التي قررها أبو الوليد بن رشد في التوفيق بين الدين والفلسفة، حتي يجوز لأحد أن يؤكد بعد ذلك أنه أخذ عنه كثيرًا من آرائه؟ إنا نجد الجواب على ذلك فيما كتبه أكثر المستشرقين إنصافًا لهذا الفيلسوف، ونعني به أزين بالاسيوس الذي أفرد كتابًا خاصًا يبين فيه

العناصر الإسلامية التي أخذها توماس الأكويني عن فيلسوف قرطبة، وفي هذا الكتاب يذكر لنا صاحبه أن هناك طريقين انتهي بهما توماس إلى فلسفة ابن رشد الدينية، أما الطريق الأول فيتلخص في أن هذا المفكر المسيحي يعترف في بعض كتبه بأنه أخذ عن موسي بن ميمون رأيه في الأسباب التي توجب الإيمان على الإنسان، ولما كان ابن ميمون من اتباع فلسفة ابن رشد، ولو بطريقة غير مباشرة، فمن المحتمل للصدق أن تكون مؤلفاته قنطرة عبرت عليها نظريات أبو الوليد إليه، لكن لما أعاد توماس الأكويني هذه الآراء في كتبه الأخرى لم يعن بالإشارة إلى المصدر الذي استقاها منه، وعلى هذا النحو بدت هذه الآراء كما لو كانت آرائه الشخصية، وظهر توماس في أعين بني ملته الذين كانوا يجهلون المصادر الإسلامية العربية في مظهر المفكر الأصيل المبتكر) [١]

٤ . **فرح أنطون** لقد قام "فرح أنطون" بتوضيح هذه المسألة وهي أثر ابن رشد على الفكر الغربي في العصور الوسطى من خلال عدة نقاط وهي:

أولا : تاريخ فلسفة ابن رشد عند اليهود: بدأ "فرح أنطون" حديثة عن فلسفة "ابن رشد " في أوروبا بتوضيح حالها مع اليهود وذلك لما لهم من باع في الترجمة وساعدوا في نقل فلسفة "ابن رشد" لأوروبا فقال:(من المعلوم أنه بعد وفاة ابن رشد كان الفاعل الكبير في إذاعة فلسفته بين اليهود وبالتالي في أوروبا عالم يهودي كبير يسميه علماء اليهود "موسي الثاني" وهو المعروف عند العرب بابن عبيد الله والمعروف عند اليهود بموسي ميمون، وقد روى بعض المؤرخين أن موسي هذا كان من تلامذة ابن رشد وقد أقام ضيفًا في منزلة في قرطبة إلى يوم اضطهاده ونفيه

(١) قاسم/ د محمود قاسم: الفيلسوف المفتري عليه ابن رشد، مرجع سابق، ص٣٨، ٣٩.

منها، ولكن بعضهم أثبت أن موسي برح الأندلس قبل نفي ابن رشد بثلاثين سنة فرارًا من الاضطهاد الذي كان يصيب المشتغلين بالفلسفة في بعض الأزمان، ومع ذلك فإن موسي يقول في أحد مؤلفاته أنه تلميذًا لأحد تلامذة ابن بجا غير أنه لا يسمي ابن رشد، وأول مرة سماه فيها كانت في كتاب كتبه في سنة١١٩١م من القاهرة ملجئه إلى تلميذه يوسف يهوذا الذي تقدم ذكره وهذا نص الكتاب: "لقد وصلني في المدة الأخيرة كل ما ألفه ابن رشد في تلاخيص أرسطو إلا كتابه الحس والمحسوس، وقد ظهر لي أنه قد أصاب كل الإصابة، ولكنني لم أتمكن إلى الآن من البحث في مؤلفاته بحثا وافيًا"، ومنذ هذا الحين أخذ موسي يدرس فلسفة ابن رشد ويقابلها بفلسفة أرسطو الأصلية، ثم استخرج من الفلسفتين فلسفة رام تطبيقها على الشريعة اليهودية) [١]

ثم بين علاقة اليهود أيضًا بحركة الترجمة لفلسفة "ابن رشد" في عهد الملك "فردريك" قائلًا:(ومن الكتّاب الذين عهد إليهم الإمبراطور فردريك ترجمة فلسفة العرب مؤلف يهودي من بروفنسيا كان مقيمًا في نابولي وهو يُدعي يعقوب بن أبي مريم بن أبي شمشون انتولي، وكان هذا الكاتب صهرًا لعائلة طبيون ، فترجم للإمبراطور في حوالي سنة ١٢٣٢ عدة كتب من تأليف ابن رشد وقد اثني في خاتمة أحدهما ثناءً عظيمًا على الإمبراطور وتمنى لو يظهر المسيح أي المسيح الذي ينتظره اليهود في عهده) [٢]

وانتقل "فرح أنطون" لتوضيح تأثير فلسفة "ابن رشد" في اليهود فقال:(وهكذا لم يأت القرن الرابع عشر حتى بلغت فلسفة ابن رشد عند اليهود أعلى منزلة، ومما زاد في رفعة سلطانها قيام فيلسوف يهودي يُدعي

(١) أنطون/فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق ص٦١، ٦٢.

(٢) أنطون/فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق ص٦٣.

"لاوى بن جرشون" من مدينة بانيول وهو معروف عند الإفرنج باسم "لاون الإفريقي"، فهذا الفيلسوف كان أكبر فلاسفة اليهود في عصره وقد صنع بفلسفة ابن رشد ما صنعه ابن رشد بفلسفة أرسطو، أي أنه شرح فلسفة ابن رشد شرحًا تامًا حتى صار شرحه هذا قرينًا لفلسفة ابن رشد كما كان شرح ابن رشد قرينًا لفلسفة أرسطو، وذلك يدل على أن العصور الماضية كانت تؤثر التلخيص على التطويل، ولا غرابة في ذلك فإن الملخص الماهر إنما هو بمثابة الغائص على الدرر واللئاليء يلتقط الأنفس فالأنفس ،ويترك الحشو الممل الذي كان ضروريًا في زمنه وليس بضروري في كل زمان، وكان هذا الفيلسوف "لاون" إجراء فلاسفة اليهود الذين تقدموه، فأقدم على ما أحجم عنه موسي ميمون "زعيم فلسفة ابن رشد" فقال بقدم العالم وأزلية المادة وباستحالة إمكان الخلق من لا شيء وبأن النبوة قوة من القوى الإنسانية الطبيعية، وبذلك لوى قواعد الشريعة اليهودية ليطبقها على العلم وجعلها تابعة له، –وكان موسي نربون في ذلك الزمن يفعل فعل لاوى جرشون في الفلسفة، ولكن لم يأت القرن الخامس عشر حتى ضعفت الفلسفة اليهودية وذهب دور الجرأة والجسارة في العلم والفلسفة، وكان آخر فلاسفة اليهود المشهورين إلياس دل مديجو الذي كان أستاذًا في كلية بادو، وكانت كلية بادو تدرس يومئذٍ فلسفة أرسطو فامتزجت يومئذٍ فلسفة اليهود الرشدية بفلسفة بادوا المبنية على المبادئ العربية، قال رينان : وقد تحققت أن هذه المدرسة تدرس إلى هذا الزمن كتابًا لابن رشد في مختصر المنطق نشر في ريفادي ترنتو باللغة اللاتينية في عام ١٥٦٠م، وفي أوائل القرن السادس عشر انتبه حزب التقاليد الدينية اليهودية من سباته وأعاد الكرة على الفلسفة، فنشر أحد رجاله وهو ربي موسي المشينو كتاب "تهافت الفلاسفة" للإمام الغزالي وذلك حوالي عام ١٥٣٨م ردًا على فلاسفة اليهود الذين كانوا يؤيدون

فلسفة ابن رشد وارسطو، ثم ضعفت هذه الفلسفة شيئًا فشيئًا بإزاء الفلسفة الحديثة التي أخذت تحلَّ محلها، فمن ذلك يظهر أن الفلسفة الرشدية لولا اليهود لانطفأ نورها في العالم كما انطفأ في الأندلس وام تصل إلى الأمم الأوروبية، ولذلك كان لليهود فضل على الفلسفة لا يُنكر، وكان شأنهم بين العرب وأوروبا شأن النساطرة والسريان بين اليونان والعرب، فكأن العرب أخذوا من اليونان بأيدٍ سريانية نسطورية وأعطوا أوروبا بأيدٍ يهودية) [١]

ثانيا : الفلسفة الرشدية وتاريخها في أوروبا: بدأ حديثة بتمهيد في ترجمة الإفرنج الكتب العربية فقام من خلال التمهيد بتوضيح نقطة هامة وهي أن النقل لم يقتصر على اليهود وأخذ يدلل على ذلك بقوله:(قد يؤخذ من الأسطر السابقة أنه لولا اليهود لما انتشرت فلسفة ابن رشد في أوروبا، والحقيقة أن هذا الانقطاع والاختصاص لا وجود لهما في الطبيعة، فإن فكر البشر بمثابة فضاءٍ لا نهاية له تتراوح فيه كل النسمات التي تحرك أمواج هوائه، فإذا لم تصل هذه الأمواج بهذه الواسطة وصلت بتلك إذ ليس في استطاعة أحد أن يوقف وصولها إلى الحد الذي رسمته لها اليد الأزلية بالأسباب الأزلية التي تدبر النظام الأزلي، فلو لم يقم اليهود لنقل فلسفة ابن رشد إلى أوروبا لقام غيرهم أي الذين يكونون في مكانهم لأن الفراغ مستحيل في النواميس الطبيعية) [٢]

ولتأكيده على وجهة نظره هذه قام بتوضيح أول من شرع في ترجمة كتب الفلسفة العربية في أوروبا فتحدث قائلًا:(ولقد كان الفضل في الشروع في ترجمة كتب الفلسفة العربية في أوروبا إلى اللغة اللاتينية لرئيس أساقفة طيطلة مونسنيور دريموند، فإن هذا الأسقف أنشأ في طيطلة من

(١) أنطون/فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ٦٤، ٦٥.

(٢) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ٦٥.

سنة ١١٣٠إلى سنة ١١٥٠ دائرة لترجمة الكتب العربية الفلسفية أخصها كتب ابن سينا إذ لم تكن كتب ابن رشد اشتهرت بعد، أما الكتب العربية الطبية والفلكية والرياضية فقد كان سبقه إليها كثيرون مثل قسطنطين الإفريقي وجربرت وأفلاطون دي تريغولى، وقد جعل هذا الأسقف الارشيدياكر دومنيك كوند يسالفي رئيسًا لدائرة الترجمة، وكانت هذه الدائرة مؤلفة من مترجمين من اليهود أشهرهم يوحنا الإشبيلي، فأخرجت إلى اللغة اللاتينية كثيرًا من مؤلفات ابن سينا، وبعد بضع سنوات ترجم جراردي كريمون وألفريد دي مولاي بعض كتب لأبي نصر الفارابي والكندي، وبذلك كانت أوروبا مديونه لأسقف طيطلة بإدخال فلسفة العرب إليها، ومن الغريب أن الفلسفة التي صنعت في أوروبا بعد ذلك ما صنعته بالدين كان دخولها إليها على يد واحد من أكابر رجال الدين) [١]

ثالثا : ناشروا الفلسفة الرشدية في أوروبا ومعارضوها: وضح "فرح أنطون" كيف نُشرت فلسفة "ابن رشد" في أوروبا وما ترتب على هذا النشر من معارضة مبينًا أسباب هذه المعارضة قائلًا:(قبل انتشار فلسفة ابن رشد في أوروبا كانت الفلسفة فيها عبارة عن تعاليم لا هوتيه مجموعة من عدة كتب مختلفة مما كتبه أصحاب المذاهب اللاتينية، فلما دخلت فلسفة العرب إلى أوروبا حصلت أوروبا بذلك على مجمل فلسفة أرسطو أي مجمل دائرة المعارف القديمة، وقد ذكرنا أن أول من أدخل فلسفة العرب إلى أوروبا رئيس أساقفة طليطلة بالأندلس وذلك بترجمته كتب ابن سينا، أما أول من أدخل فلسفة ابن رشد إليها فهو ميخائيل سكوت وذلك في عام ١٢٣٠م في طليطلة أيضًا، ولذلك دعوه مؤسس الفلسفة الرشدية في أوروبا وكان ميخائيل سكوت من المقربين إلى بلاط ألمانيا وقد عهد إليه الإمبراطور فردريك الثاني الذي كان يكره رجال الدين بترجمة فلسفة

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ٦٦.

أرسطو عن العرب، وسيرد معنا في موضع آخر أن هذا الإمبراطور هو السبب الحقيقي في جرأة الفلاسفة والمترجمين على ترجمة الكتب الفلسفية، وبعد ميخائيل سكوت قام هرمان الألماني فحذا حذوه محميًا من الإمبراطور أيضًا، والأرجح أنه اعتمد في ترجمة كتبه على بعض عرب الأندلس العارفين باللغة العربية الفلسفية وقد ذكرنا في اثناء الكلام على تاريخ الفلسفة الرشدية عند اليهود المترجمين الذين حماهم هذا الإمبراطور لترجمة فلسفة ابن رشد، وقد استمر المترجمون بعد ذلك يشتغلون تحت حماية هذا الإمبراطور حتى إنه ما انتصف القرن الثالث عشر حتي كانت جميع كتب ابن رشد المهمة قد تُرجمت إلى اللغة اللاتينية، أما كتبه الطبية فإنها لم تنشر إلا بعد كتبه الفلسفية، ولما نفذت فلسفة العرب إلى أوروبا وانتشرت بين أيدي الناس في الكليات والمدارس والمكاتب والجمعيات وذلك قبل بلوغ فلسفة ابن رشد فيها أوج النفوذ والسلطان اشتغل الإكليروس الأوروبي بمقاوماتها لأن أصولها مخالفة لقواعد الأديان الموجودة، وأول مقاومة حدثت في وجهها كانت في المجمع الإكليريكي الذي عُقد في باريز في عام ١٢٠٩م فإن هذا المجمع حكم على المشتغلين بها وهم أمورى ودافيد دي دنيان وتلامذتهما وشجب "تعليم أرسطو وشروحه" وربما كان في هذه الكلمة "الشروح" إشارة إلى شرح ابن رشد لأن كلمة "الشارح" على الإطلاق لا تُطلق على سواه، ومهما يكن من هذا الأمر فإن هذا المجمع إنما كان غرضه ضرب أرسطو الداخل إلى بلادهم بواسطة العرب مترجمًا عن العرب ومشروحًا من العرب، وفي عام ١٢١٥م حرم الإكليروس تعليم أرسطو أيضًا خصوصًا تلاخيص ابن سينا، وفي عام ١٢٣١م أصدر البابا غريغوريوس التاسع تحريمًا بمنع درس فلسفة العرب وكان السبب الذي جعل الإكليروس يقومون على فلسفة العرب نفس السبب الذي جعل المسلمين واليهود يقومون عليها قبل ذلك،

فإن هذه الفلسفة تجعل للعالم نواميس طبيعية ومن عقائدها أن العالم قديم أزلي غير مخلوق منذ بضعة آلاف من السنين فقط وان الخالق لا يصنع شيئًا في الكون إلا بسبب "لازم"، وكان رجال الدين يومئذٍ لم يتعودوا سماع هذه النغمة لأن العلم الطبيعي لم يكن قد رفع الغطاء عن النواميس الطبيعية، ولذلك فقد كانوا يومئذٍ معذورين في إنكارها، وإنما ذنبهم الوحيد الاضطهاد لا الإنكار، أي الرغبة في خنق الفكر لأنه يعتقد اعتقادًا مخالفًا لمعتقدهم، ولكن من حسن حظ أروبا أنها لم تصرّ على هذا الخطأ الفاضح، فإن اللاهوتيين فيها اضطروا بحكم الضرورة إلى تغيير سياستهم في مقاومة الفلسفة مقاومة عمياء وصاروا يتخذون منها سلاحًا لمحاربتها به، فقام غيليوم ودوفرن وحمل على فلسفة العرب خصوصًا ابن سينا حملة شديدة فسماه المجدف القاذف ولكنه كان يقول عن ابن رشد إنه فيلسوف رزين عاقل وإنما سوء فهم تلامذته شوه تعليمه، وكان هذا الرجل "غيليوم دوفرن" أول اللاهوتيين الذين يجوز أن يقال فيهم أنهم كانوا يعرفون فلسفة ابن رشد ومع ذلك فقد كان أشد أعداء هذه الفلسفة العربية، وبعد غيليوم ودوفرن قام اللاهوتي ألبير الكبير وكان من محبي ابن سينا وكان يعتبره أستاذًا له، وأما ابن رشد فإنه لم يكن يعبأُ به وإذا اتفق وذكره في كتاباته فإنه لا يذكره إلا لتعنيفه على إجترائه على مخالفة الأستاذ الرئيس "ابن سنا" وقد ردّ ألبير الكبير على فلسفة العب ردودًا كثيرة، وبعد ألبير الكبير قام القديس توما الذي هو أكبر الخصوم الذين وجدتهم فلسفة ابن رشد في طريقها) [١]

رابعا : القديس توما ورده على فلسفة ابن رشد وصورته معه: نجد "فرح أنطون" أفرد هذا العنصر عن سابقه الذي ذكر فيه المعارضون لفلسفة "ابن رشد"، وذلك لأنه يعتبر "القديس توما" من أكبر خصوم فلسفة

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق من ص٦٧: ٦٩.

"ابن رشد" ولذا يجب تفصيل معارضته فقال:(وقد قلنا إن القديس توما كان أكبر خصوم فلسفة ابن رشد ولم نرد بذلك أنه كان أشدهم تطرفًا وغلوًا في الطعن على حكيم قرطبة بل نعني أنه كان أقواهم حجة وأقدرهم على نقد فلسفته، أما المتطرفون في الطعن على أبي الوليد فسيرد ذكرهم، ولقد كان القديس توما يعتبر ابن رشد حكيمًا من الحكماء الأجانب، قال رينان "وفي الإمكان أن نقول إن القديس توما كان أكبر تلامذة ابن رشد فإنه بصفته فيلسوفًا مديون بكل شيء للشارح العربي ابن رشد"، ومما استدل به رينان على ان القديس توما كان تلميذًا لابن رشد "أي آخذًا عنه" شرحه أرسطو على الطريقة التي شرحه بها ابن رشد ونقله من فلسفته أقوالًا مطابقة لكتابات أبي الوليد، وكان القديس توما أعظم فلاسفة اللاهوت في العصور المتوسطة بل أعظم حكيم قام في الكنيسة الغربية، أما نقضه الفلسفة العربية والرشدية فلم يكتف له عناءً شديدًا على ما يظهر لأن الهدم سهل، وقد صرف همه في هذا الرد إلى المسائل العليا المبنية عليها الفلسفة العرية، وهي أولًا أزلية المادة وعدم المقدرة على وصف حقيقتها، ثانيًا ارتباط المبادئ الأولى التي صدر العالم عنها بعضها ببعض، ثالثًا كون العقل الأول الذي صدر عن المبدأ لأول أي الخالق عزَّ وجل واسطة بينه وبين العالم الذي صدر عنه أي العقل، ووحدة هذا العقل، رابعًا انكار العناية الإلهية كما يتصورها العامة، خامسًا استحالة الخلق أي الإيجاد من العدم بلا واسطة التولد والنمو، ومما هو جدير بالذكر أن القديس توما لم يعتمد على الفلسفة اللاهوتية القديمة في الرد على فلسفة ابن رشد بل أخذ من المبادئ الأرسطو طاليسية سلاحًا لمحاربة هذه الفلسفة، وأول شيء وضعة إن ارسطو أخطأ في شيء والعرب الذين جاءوا بعده زادوا على فلسفته أشياء فازداد الخطأ بذلك، ولكن لباب فلسفة أرسطو صحيح، وقد قال القديس توما بصحتها لأنه استطاع أن يستخرج منها مسألة خلود

النفس التي هي مسألة المسائل، وذلك أنه اثبت من كتب أرسطو أن هذا المعلم كان يعتقد بأن النفس جوهر قائم بذاته) [١]

ثم وضح "فرح أنطون" بعض ردود "القديس توما" على فلسفة "ابن رشد" فقال:(أما رد القديس توما على فلسفة ابن رشد في خلق العالم فقد كان بمثابة تخلص لا يرده العقل، فإنه قال إن خلق العالم لم يكن عبارة عن حركة كما يقول ابن رشد وأرسطو وإن هذه الحركة تقتضي شيئًا تحركه بل عبارة عن صدور وفيضان، ولكن لا يجب أن نعتبر أن أرسطو وابن رشد قد خدشا الإيمان بهذا القول فإنه قول صحيح بالنظر إلى الحالة الحاضرة، ذلك أنه لا يحدث الآن شيء جديد في العالم بدون حركة ومادة، ولكن في بدء الخلق كانت الحالة على غير ما هي عليه اليوم، أي إن وجود الشيء كان عبارة عن صدور وفيضان بلا احتياج إلى مادة يُصنع منها، ولقد أخطأ أرسطو خطأً شديدًا بقوله بأزلية الزمان والحركة ولكن لم يكن يجوز لابن رشد أن يستنتج من هذا الخطأ القول باستحالة الخلق، أما في مسألة وحدة العقل فقد كان الحكيم توما يتحمس أكثر من تحمسه في مسألة الخلق، فقد كان يقول إن القول بوحدة العقل في الإنسانية خطأ عظيم لأنه يفضي إلى الاعتقاد بأن القديسين والأبرار لا فرق بينهم وبين باقي الناس، ورغبةً في نقض هذا الجانب الضعيف في فلسفة ابن رشد نقضًا تامًا رجع القديس توما إلى حكماء المتقدمين من يونان وعرب فقال إن هذه المسألة لم يقل بها أحد لا أرسطو ولا إسكندر دفروز ياس شارحة اليوناني ولا ابن سينا ولا الغزالي ولا ثيوفراستوس ولا ثميسيوس، فإن جميع هؤلاء الحكماء كانوا يعتبرون العقل قابلًا للانقسام في البشر، وتوصلًا لتأييد هذا القول اثبت القديس توما أن مبدأ الشخصية هو عبارة عن مادة موجودة خلافًا لقول ابن رشد أن الشخصية

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ ٦٩، ٧٠.

هي صورة لا غير، وقد قال رينان: لا ريب أن القديس توما مصيب في اثباته شخصية الإنسان وإنكار كونها صورة فإن العقل يقول "أنا" ويعرف أنه موجود مستقل، ولكن أرسطو لا يقول إن الشخصية هي عبارة عن صورة بل يقول إنها عبارة عن صورة وهيولي، ولو كان لكل إنسان عقل مخصوص لوجب أن يكون في الكون عدة أنواع من العقل وتحتم أن يخلق الله عقولًا في كل يوم إلى مالا نهاية له، فالأبسط من ذلك كله أن يُقال إن عقل الإنسان ينمو بنمو جسمه وشأنه في ذلك شأن باقي الأعضاء، وقد ردَّ القديس توما على ابن رشد قوله في مسألة اتصال العقل الفاعل بالعقل المنفعل واتصال العقل المفارق بالإنسان، فقال إننا لا نري شيئًا و لانفهم شيئًا بلا انعكاس صورته عن ذهننا، ولذلك يستحيل على المادة إدراك العقل المفارق لها، ولكن أحد تلامذة القديس توما وهو بيير دوفرن لم يتابع معلمه فأيد بناءً على تعليم القديس دنيس الاريو باجيتي أن العقل الإنساني يمكنه أن يرى الخالق، ورأيه في ذلك موافق لرأي ابن رشد) [١]

وقام "فرح أنطون" بالتعليق على ردود "القديس توما" تجاه فلسفة "ابن رشد" بنوع من الدفاع عن "ابن رشد" فقال:(وما من أحد يجهل أنه من السهل على الخصم أن ينقض حجج خصمه بعد وفاته، ولذلك سهل على القديس توما أن ينقض فلسفة ابن رشد ويُظهر ما فيها من المخالفة لفلسفة أرسطو، فأجله معاصروه أعظم إجلال) [٢]

وهنا انتهي بيان حال فلسفة "ابن رشد" مع "القديس توما" في حياة القديس، ولكن ماهي صورة "القديس توما" بعد وفاته مع فلسفة "ابن رشد" عند الأوربيون فبأي صورة صوروا "القديس توما"، ويجيب على هذا السؤال

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، ص٧٠، ٧١.

(٢) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، ص ٧١.

"فرح أنطون" قائلًا:(وبعد وفاته صوروه في عدة صور تدلُّ على انتصاره على جميع الفلاسفة المتقدمين، منها صورة في كنيسة القديسة كاترين في بيزه موضوعة بجانب المنبر الذي يُقال إن ذلك المعلم العظيم قد علم الناس منه، وهذه الصورة هي من تصوير فرنسيسكو تريني أحد مشاهير المصورين في القرن الرابع عشر وقد صورها في سنة ١٣٤٠م على الأرجح، وهي تمثل في أعلاها العزة الإلهية تحيط بها الملائكة ومنها يصدر النور إلى موسي والإنجيليين الأربعة والرسول بولس وجميعهم واقفون في السحاب، وتحت السحاب صورة القديس توما تنعكس على وجهه تلك الأنوار فضلًا عن ثلاثة أشعة خصوصية صادرة إليه من العزة الإلهية نفسها، وفي جانبي الصورة على موازاة كتف الحكيم توما أي في مكان أدني من مكانه قليلًا شخصان يمثلان أرسطو وأفلاطون وفي يد كل واحد منهما كتاب من كتبهما، ومن كل كتاب من هذين الكتابين يصعد خيط من النور نحو رأس القديس توما ويمتزجان بالنور الإلهي النازل من فوق، أما القديس توما فهو جالس في الصورة في كرسيه وفي يده الكتاب مفتوحًا عند هذه العبارة "إن فمي يُحدِّث بالحق وشفتاي تبغضان الضلال" وحول كرسي القديس توما تحت قدميه أي على موازاتها علماء الكنيسة الذين سبقوه وأشعة النور منتشرة عليهم من مؤلفاته العديدة الموضوعة على ركبتيه، ومن هذه الأشعة شعاع يصيب شخصًا ساقطًا على الأرض في جانب الرسم مع كثيرين غيره من الفلاسفة المخالفين، وهذا الشخص هو شخص ابن رشد دلالة على انتصار توما عليه، أما هذه الصور فهي تُدعي "مجادلات القديس توما"، وقد صُور القديس توما عدة صور بهذا المعني للدلالة على أنه نقض فلسفة ابن رشد وأقام مكانها فلسفة أرسطو الحقيقية، ولعل الآباء الدومينيكيين معذورون في هذا التصوير الذي كانوا يغرون به مشاهير مصوري تلك القرون لرغبتهم في تأييد حجتهم، ذلك

أنهم كانوا يرمون أحياء فلسفة أرسطو كما يفهمونها هم لا كما فهمها العرب وكان فلاسفة لعرب بمثابة عثرة في سبيلهم، ولذلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى إسقاط سلطة العرب لإقامة سلطتهم، ومع ذلك فهم لا يُلامون على أنهم حملوا تلك الحملة على الفلسفة العربية لأنهم كانوا يحسبون أنهم صنعًا في تأييد آرائهم، وإنما اللوم يقع عليهم لعدم احترامهم حكيمًا عظيمًا كابن رشد كان يحترمه رصيفه وتلميذه القديس توما نفسه، ولو كان هذا القديس في قيد الحياة حينما صوروه تلك الصور لأنكر عليهم ولا شك ذلك التصوير لأن الرجل الكبير يحترم دائمًا الرجل الكبير)[1]

وهنا يظهر تساؤل وهو ماذا حدث لفلسفة "ابن رشد "بعد "القديس توما" ومن قاد حملته بعده ضد فلسفة "ابن رشد"؟، وللإجابة على ذلك نجد "فرح أنطون" يقول:(ولما توفي القديس توما كانت الفلسفة اللاهوتية في غاية القوة ولكن المبادئ العربية كانت تتقدم أيضًا، فقام بعده ريمون مارتيني واعتمد في مقاومة أنصار المبادئ العربية على الإمام الغزالي، وكان يقول إنه من الأفضل الرد على الفلاسفة بفم فيلسوف، كأنه كان يعتبر الغزالي من أنصار الفلسفة لا من خصومها، ثم قام بعده جيل دي ليسين وبرنار دي تريليا وهرفه نديليك ودافعوا عن مذهب القديس توما أيضًا، وبعدهم قام دنت الشاعر الإيطالي المشهور وضرب أيضًا ابن رشد في هذه الحرب الفلسفية ولكن ضرباته كانت خفيفة، ولما كتب المشهور "الجحيم" لم يضع فيه ابن رشد في أماكن الكفرة والملحدين بل وضعه في مكان خصوصي احترامًا لحكمته، وبعد ذلك قام جيل دي روم لمقاومة فلسفة العرب خصوصًا فلسفة ابن رشد، فبلغ في ذلك من الشهرة التي بلغها القديس توما وألبير الكبير، ثم خلفه تلميذه جيرار دي سيسين في

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، صـ ٧١، ٧٢.

هذه المقاومة، ولكن ما تقدم من المقاومة لمبادئ ابن رشد ليس بالشيء الذي يستحق الذكر بالقياس على مقاومة ريمون لول لها، فإن هذا الرجل الطائش صرف عمره خصوصًا من سنة ١٣١٠م إلى سنة ١٣١٢م في الجولان بين باريز وفيينا ومونبليه وجوني ونابولي وبيزة محرضًا الناس على العرب وفلسفتهم ومبادئهم، ولما اجتمع مجمع فيينا في سنة ١٣١١م رفع إلى البابا أكليمنضس الخامس عريضة يطلب فيها ثلاثة أمور، الأول إنشاء جمعية عسكرية كبرى للسعي في اسقاط الإسلام، والثاني انشاء كليات لدرس اللغة العربية، والثالث حرم المسيحيين الذين كانوا ينصرون مبادئ ابن رشد وتحريم التعليم في كتبه في المدارس الأوروبية، ولكن المجمع لم يهتم بهذه العريضة ولا بحث فيها) [١]

خامسا : الرهبان الفرنسيسكان أنصار فلسفة ابن رشد ضد مذهب القديس توما: بعد ذكر المعارضين لفلسفة "ابن رشد" في أوروبا في العصر الوسيط كان من الطبيعي بيان مناصريها الذين أخذ "فرح أنطون" يؤكد على وجودهم لأنه لا توجد معارضه بدون مناصر يجادل فقال:(فمما تقدم يتضح أنه كان يومئذٍ في أوروبا علماء أشداء ينصرون فلسفة العرب ومبادئ ابن رشد، لأنه من الثابت أن المناظرات والمجادلات لا تكون عنيفة شديدة إلا إذا كانت قوة الجدال في الجانبين، وكيف يقوم عالم كالقديس توما وتكون له تلك الأهمية الكبرى أو يقوم رجل متطرف مثل ريمون لول ويطلب حرم مبادئ العرب والمشتغلين بها لولم يكن هنالك قوم أقوياء منصبون على نصرة هذه المبادئ بقوة تعادل قوة الذين كانوا يحاربونها وقد أثبت رينان أن هؤلاء النصراء لمبادئ العرب كانوا من رهبان الفرنسيسكان ومن كلية باريز الكبرى) [٢]

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ ٧٢، ٧٣.

(٢) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق صـ٧٣.

وأخذ "فرح أنطون" يوضح كيف بدأت علاقة هؤلاء النصراء مع الفلسفة العربية فقال:(وأول علماء السكولاستيك "الفلسفة اللاهوتية" الذين قبلوا هذه المبادئ ونشروا روحها بين الناس كان اسكندردي هاليس زعيم المذهب الفرنسيسكاني، ثم خلفة جان دي لاروشل فحذا حذوه في قبول الفلسفة العربية وتعليمها وقد اعتمد على ابن سينا في كل ما كتبه في علم النفس والأخلاق، ومما هو مشهور أن جميع المبادئ التي تقرر نبذها في باريز في عام ١٢٧٧ إنما كانت للآباء الفرنسيسكان وتلامذتهم وهي مأخوذة عن ابن سينا وابن رشد، وفي هذه السنة نفسها كان رئيس أساقفة كنثر بري روبر دي كيلوا ردبي الدومينيكي يطعن في مجمع عُقد في مدينة أكسفورد التي كانت مصدر التعاليم الفرنسيسكانية بمبادئ شبيهة بالمبادئ التي طُعن فيها باريز، فغير بعيد أن يكون الفلاسفة الذين حاربهم غيليوم دوفرن وألبر الكبير والقديس توما من الفرنسيسكانيين، وبناءً على ذلك تكون الكنيسة يومئذٍ قد انقسمت قسمين، فقسم قبل المبادئ والفلسفة العربية وصار يدعوا الناس إليها من بعض الوجوه وقسم أنكرها وصار يحذر الناس منها ومما يثبت أن الفرنسيسكان كانوا في مقدمة أولئك المحامين ما كان في كتابات بعض علمائهم من الاحترام لابن رشد وإن كان بعض منهم أيضًا قد ردوّا عليهم ردًا شديدًا، فمن ذلك ما كتبه أحدهم وهو روجه باكون إذ قال: "إن ابن سينا هو اول من أوضح فلسفة أرسطو ولكن الذين جاءُوا بعده فإنه خالفه في عدة أمور، وقد أنكر مشاهير العلماء الذين تقدمونا فلسفة ابن رشد وأهملوها ولكن الحكماء اليوم صاروا يجلّونها بالإجماع وإن كانوا يعترضون على بعض مبادئها" وقال في موضع آخر "بعد ابن سينا قام ابن رشد وهو رجل قوي الحجة أصيل الرأي فهذب تعاليم الذين تقدموه وإن كانت تعاليمه نفسها محتاجة إلى التهذيب والتكميل في بعض المواضع"، وكان ورجه باكون هذا يعجب من

عدم ترك الخصوم الفلسفة الأوروبية القديمة للإقبال على هذه الفلسفة العربية الجديدة، ذلك لأنه كان على ما يظهر يجهل السم الكامن للدين فيها، وقد ظهر هذا السم في باريز بعد ذلك ظهورًا واضحًا، فإن مدرسة السوربون فيها كانت مرسة لا هوتيه تعلم تعليم القديس توما، ولكن كلية باريز كانت على خلاف ذلك، فإن كثيرين من أساتذة الفنون فيها كانوا من أنصار مذهب ابن رشد، وقد وُجد في هذا العصر من آثار هذه الكلية تسعة دفاتر محتوي على تعاليم هذا الفيلسوف كانت تدرَّس فب القرن الثالث عشر والرابع عشر، وبعضها دلت حالته على أنه كان يُستعمل في الدرس كل يوم، فاصطلت يومئذٍ بين علماء الفلسفة العربية في باريز وعلماء اللاهوت فيها نار خلاف حامية كانت أشد من النار التي اصطلت منذ ثلاثة أعوام في باريز بشأن مسألة دريفوس والسلطُة العسكرية، أما الدومنيكيون فإنهم كانوا مع علماء اللاهوت وقد استصدروا من البابا إسكندر الرابع في مدة ست أو سبع سنوات ٤٠ أمرًا بحرمان فلسفة العرب والمشتغلين بها ولكن لم يكن غرضهم من ذلك دينيًا فقط بل كان في ذلك للسياسة والحسد اليد الطولي، وإنما كان غرضهم أن يكونوا أصحاب النهي والأمر وحدهم في جميع أجزاء الكنيسة الغربية، وقد جاء في شعر بعضهم، أن هذه الحرب كانت بين أهل دومينيك، والذين يقرأون "اللوجيك" أي المنطق، فهي إذًا حرب سياسية، وإليك بعض المبادئِ التي قرر مجمع باريز اللاهوتي في سنة ١٢٦٩حرم المعتقد بها يومئذٍ وهي كلها مأخوذة من فلسفة ابن رشد كما تري "إن المجمع يحرم كل من يعتقد أن العقل الإنساني واحد في كل الناس –وإن العالم أزلي – وأنه لم يوجد قط إنسان أول ولد البشر منه – وأن النفس التي هي صورة للإنسان تفني بفناء الجسد – وأن الله لا يعلم الجزئيات التي تحدث في العالم – وأن العناية

الإلهية لا تؤثر في أفعال الإنسان ولا تدبرها – وأن الله لا يقدر أن يجعل الشيء القابل للموت والفناء أي الإنسان وما سواه خالدًا باقيًا) [١]

سادسا :انتصار الفلسفة الرشدية وبلوغها في كلية بادوا أوج العظمة: كان من الطبيعي بعد بيان حال فلسفة "ابن رشد" في أوروبا ما بين مؤيد ومعارض أدى بهما إلى نزاع شامل أن نسأل ما حدث لفلسفة "ابن رشد" بعد هذا النزاع فيجيب "فرح أنطون" عن ذلك قائلًا:(فبناءً على ما تقدم صار ابن رشد عبارة عن راية تتحارب حولها شعوب وأمم مختلفة في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، وكان للفيلسوف العربي الجليل سمعتان، الأولى سمعة الفضل والعلم والنزاهة وهي عند أساتذة المدارس الذين كانوا يرومون كسر النبر القديم، والثانية سمعة الكفر وبغض الدين وهي عند العامة والبسطاء والجهلاء، ولم يأت القرن الرابع عشر حتي صارت سلطة ابن رشد في أوروبا فوق كل سلطة وتقدم على ابن سينا بعد أن كان محسوبًا في القرن الثالث عشر دونه، ولما أراد الملك لويس الحادي عشر ملك فرنسا إصلاح التعليم الفلسفي في سنة ١٤٧٣ طلب من أساتذة المدارس "تعليم فلسفة أرسطو وشرح ابن رشد عليها لأنه ثبت أن هذا لا شرح صحيح مفيد"، ولقد كان أنصار المبادئ الرشدية في القرن الثالث غير معروفين ولذلك يتعذر تسمية أحد منهم، وإنما عُرف وجودهم من حدة الذين كانوا يطعنون في المبادئ العربية كرايمون لول غيره كما تقدم، أما في القرن الرابع عشر وما بعده فقد تألف حزب عظيم لابن رشد وكان هذا الحزب يدرّس مبادئه جهرًا، وبذلك انتصرت هذه المبادئ انتصارًا عظيمًا)[٢]

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، من ص٧٣: ٧٥.

(٢) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق ص٧٦.

وأخذ "فرح أنطون" يوضح أسباب هذا الانتصار لفلسفة "ابن رشد" في أوروبا فقال:(وإن قيل ما سبب هذا الانتصار ولماذا لم تختنق بروز الفلسفة في تربة أوروبا، فالجواب عن ذلك ينحصر في أربعة أمور، الأول إن جميع اللاهوتيين والفلاسفة كانوا مقرين لأرسطو ومعترفين بفلسفة ولذلك كان الخلاف على تفسيرها لا على حقيقتها، والثاني أن النسل الهندي الأوروبي الذي تألفت منه أمم أوروبا نسل ذو مزية على باقي الشعوب من حيث حب الفلسفة والعلم كما أن الساميين أي الشرقيين كانوا ممتازين بخروج الحرية والدين منهم، ولذلك نبغ في الأوروبيين رجال أصحاب جرأة على القول والعمل، والثالث قيام إمبراطور كبير كفردريك الثاني الذي حارب الدين ورجاله في أوروبا محاربة شديدة ونصر الفلسفة عليهم بالرغم عنهم كما سيرد التفصيل، والرابع أن الدين المسيحي بمجاورته للدين الإسلامي والدين اليهودي في الغرب صار أكثر تساهلًا مما كان من قبل بدلًا من أن يزداد تعصبًا، ومما زاد هذا التساهل الحملات الصليبية على الشرق ومصادفة المسيحيين الأوروبيين سلطانًا مسلمًا كصلاح الدين الأيوبي في غاية النزاهة والعدل والصدق، فلا ريب إنه كان لهذا السلطان الجليل من التأثير على نصارى الغرب بواسطة أخلاقه وصفاته ما لا يحدثه ألف كتاب في الفلسفة والحكمة، ذلك أنه كان كتابًا في الحكمة حيًا ناطقًا لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، وكان بدءُ انتصار فلسفة ابن رشد في كلية بادو المشهورة في إيطاليا، وكانت الحركة الأوروبية والفلسفية في بولونيا وفراري والبندقية تابعة لهذه الكلية، وقد بدأت فلسفة ابن رشد فيها بتعليم كتبه الطبية ثم تلتها كتبه الفلسفية، وأول مؤسسي تعاليم ابن رشد فيها بطرس دابانو الذي أحرق ديوان التفتيش عظامه بعد موته عقابًا له، ولما انتشرت مبادئ العرب في بادو والبندقية شاعت على الخصوص بين الطبقات العليا، فصار أهلها يفتخرون بأنهم

من أنصار فلسفة ابن رشد، فكأنَّ هذه الفلسفة أصبحت "مُوضة" يتزين بها كل من يطلب استقلال الفكر، ولكنه من المعلوم أن استقلال الفكر الذي لا يضر ولا يؤذي أحدًا ولا مبدأ شيءٌ، واستقلال الفكر الذي هو عبارة عن خشونة وغلاظة شيءٌ آخر) [١]

ويوضح "فرح أنطون" قوة نفوذ فلسفة "ابن رشد" في أوروبا قائلًا:(وقد اتخذت كلية بادو في مدة القرن السادس عشر مبادئ نيفوس الرشدية شعارًا لها لأنه كان يمكن تطبيقها على الدين، وأصبحت الكنيسة منذ ذلك العهد تستحسن فلسفة أرسطو أشد استحسان حتى أن الكردينال بالافيسيني كان يقول إنه لو لم يقم أرسطو في العالم لفقدت الكنيسة بعض براهينها، وكانوا يومئذٍ مجمعين على أن ابن رشد أفضل شراح أرسطو، ولذلك بلغت مبادئ ابن رشد في ذلك الزمن منتهى النفوذ والانتشار واضطروا إلى مراجعة كتبه وإعادة ترجمتها وطبعها إجابة للذين كانوا يطلبونها من كل صوّب) [٢]

ولكن بعد هذا الانتصار والنفوذ في أوروبا ماذا حدث لفلسفة "ابن رشد"؟ ويوضح "فرح أنطون" هذا بقوله:(لا ريب أن أبا الوليد قد انتصر في أوروبا بعد موته انتصارًا لائقًا بحكيم قرطبة وأعظم فلاسفة الإسلام ولكن كل شيء يفني ويتغير في هذه الحياة ولا يدوم إلا وجه الله ذي الجلال، فإن سلطانًا فلسفيًا كهذا السلطان لا يمكن أن يدوم وقتًا طويلًا وهكذا جرى لابن رشد، ولبيان ذلك نقول: كان الأساتذة في أوروبا يدرسون فلسفة أرسطو من قبل بموجب تلاخيص ابن رشد وابن سينا، فلما قدم العهد بهذه التلاخيص صار الأساتذة يضعون شروحًا عليها من عندهم ويتلونها على الطلبة، فصارت فلسفة أرسطو تصل إلى الطلبة بعد مرورها

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، صـ٧٦، ٧٧.

(٢) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، صـ٧٩.

في التلاخيص الرشدية والتلاخيص اللاتينية، فكانت تخسر شيئًا كثيرًا من صفتها الأرسطو طاليسية، ولذلك كان لا بد من الرجوع إلى النص اليوناني الحقيقي عاجلًا أو آجلًا، ومن جهة أخرى فقد تقدم أن أنصار الفلسفة في أوروبا انشقوا حزبين، فحزب مع ابن رشد العربي، وحزب مع إسكندر اليوناني، وذلك مما أوجب أيضًا الرجوع إلى النصوص اليونانية، وفضلًا عن ذلك فإن علماء إيطاليا كانوا ميالين إلى آداب ذلك التمدن اليوناني القديم الذي كان بمثابة شمس أضاءت حينًا ثم خمدت، فأخذوا يعودون إليها، فنشأ عن ذلك حزب جديد أخذ يشتغل بأداب اليونان وعلومهم دون أن يعتمد في ذلك على شيءٍ غير النصوص اليونانية نفسها، وكانوا يسمونهم الحزب الجديد، أما الحزب القديم فهو حزب فلسفة العرب ومبادئ ابن رشد، فبعد أن كان الخلاف بين "رشديين وإسكندريين" على التخصيص أصبح الخلاف بين "رشديين ويونانيين" على الإطلاق، وفي ٤ ابريل من عام ١٤٩٧ صعد الأستاذ نقولا ليونيكوس توموس في منبر التعليم في كلية بادو وأخذ يلقي فيها لأول مرة فلسفة أرسطو باللغة اليونانية، فنظم يومئذٍ في ذلك بعض الشعراء أبياتًا يقرظ بها هذا الأستاذ دلالة على أهمية هذه الحادثة، ومن ذلك الحين أخذت النهضة اليونانية في إيطاليا بالنمو، فكما أن بادو والبندقية وشمال إيطاليا عادت كلها إلى نص أرسطو الأصلي عادت فلورنسا إلى نص أفلاطون الأصلي أيضًا، فأصبحت البندقية وفلورنسا في ذلك بمثابة قطبي الفلسفة، فإن الأولى كانت عقلًا يمثل التحقيق في البحث والثانية كانت قلبًا يمثل رقة الفلسفة وروحانيتها، فاصطلت يومئذٍ نار الجدال بين "الرشديين" و"اليونانيين" فنشأ عن ذلك اختلاط غريب في فلسفة العرب واليونان والأوروبيين، ولما قام المذهب البروتستانتي في أوروبا انضمَّ إليه كثيرون من أصحاب العقول المعتدلة الذين كانوا يخافون عاقبة التهور في مبادئ ابن رشد المادية

وباتوا يحاربون هذه المبادئ، فكأن الإصلاح البروتستنتي كان وسطًا بينها وبين المبادئ اللاهوتية القديمة، ومنذ ذلك الحين ازداد فوز "اليونانيين" فلم تأت سنة ١٦٣١ وهي السنة التي توفي فيها قيصر كريمونيني حتي زالت فلسفة ابن رشد من طريق الفلسفة الأوروبية الحديثة ودخلت في حيز التاريخ القديم، وكان كريمونيني هذا آخر زعيم لفلسفة ابن رشد في كلية بادو) [١]

وهكذا كانت تأثيرات "ابن رشد" على فلسفة العصر الوسيط في أوروبا، ، حيث أثرت في اليهود المترجمين والفلاسفة منهم تأثيرًا واضحًا إلى أن نقلوها إلى أوروبا لتنتشر في أرجائها في العصور الوسطي ولتكون سبب هام من أسباب تغيير ملامح الفكر في أوروبا في العصر الوسيط، ونجد "فرح أنطون" قام ببيان المعارضون لها وعلى رأسهم تلميذ "ابن رشد" "توماس الأكويني" فقد كان "ابن ارشد" أستاذًا "للقديس توما" كما يقول فرح أنطون :(وفي الإمكان أن نقول إن القديس توما كان أكبر تلامذة ابن رشد فإنه بصفته فيلسوفًا مديون بكل شيء للشارح العربي ابن رشد) ومما استدل به رينان على أن القديس توما كان تلميذًا لابن رشد "أي آخذًا عنه" شرحه أرسطو على الطريقة التي شرحه بها ابن رشد ونقله من فلسفته أقوالًا مطابقة لكتابات أبي الوليد)، وقام "فرح أنطون" بتفصيل العلاقة بين "ابن رشد" و "القديس توما" بعرض ردوده على فلسفة "ابن رشد"، وانتقل بعد ذلك للحديث عن حال فلسفة "ابن رشد" مع المؤيدين لها، مستدلًا على ذلك برؤيته أنه لم يكن المعارضين لفلسفة "ابن رشد" بهذه الحده إلا لمواجهة المناصرين الذين هم على نفس الدرجة من الحده، وبين أسباب هذا التأييد، ووضح كيف انتهت هذه الحرب بقولة:(انتصار فلسفة ابن رشد وبلوغها في كلية بادو أوج العظمة)، وبعد ذلك بين ما حدث

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، صـ٨٠، ٨١.

لفلسفة "ابن رشد" بعد هذا الانتصار وكيف انتهي الأمر بها لتصبح من التراث فقال:(كان الأساتذة في أوروبا يدرسون فلسفة أرسطو من قبل بموجب تلاخيص ابن رشد وابن سينا، فلما قدم العهد بهذه التلاخيص صار الأساتذة يضعون شروحًا عليها من عندهم ويتلونها على الطلبة، فصارت فلسفة أرسطو تصل إلى الطلبة بعد مرورها في التلاخيص الرشدية والتلاخيص اللاتينية، فكانت تخسر شيئًا كثيرًا من صفتها الأرسطو طاليسية، ولذلك كان لا بد من الرجوع إلى النص اليوناني الحقيقي عاجلًا أو آجلًا، ومن جهة أخرى فقد تقدم أن أنصار الفلسفة فبي أوروبا انشقوا حزبين، فحزب مع ابن رشد العربي، وحزب مع إسكندر اليوناني، وذلك مما أوجب أيضًا الرجوع إلى النصوص اليونانية، وفضلًا عن ذلك فإن علماء إيطاليا كانوا ميالين إلى آداب ذلك التمدن اليوناني القديم الذي كان بمثابة شمس أضاءت حينًا ثم خمدت، فأخذوا يعودون إليها، فنشأ عن ذلك حزب جديد أخذ يشتغل بأداب اليونان وعلومهم دون أن يعتمد في ذلك على شيءٍ غير النصوص اليونانية نفسها، وكانوا يسمونهم الحزب الجديد، أما الحزب القديم فهو حزب فلسفة العرب ومبادئ ابن رشد).

فنرى مما سبق أن "فرح أنطون" وضح أثر فلسفة "ابن رشد" في العصور الوسطي في أوروبا بالتفصيل مُبَيِّنًا مالها من تأثير قوى في أوروبا في ذلك الوقت.

المطلب الثالث: اثر ابن رشد على العقيدة الكنسية في الغرب في العصور الوسطى

لقد كان ابن رشد اهم في الفلسفة المسيحية منه في الفلسفة الإسلامية، فهو في الفلسفة الإسلامية نهاية طريق بينما في الفلسفة المسيحية بداية الطريق، فقد ترجمه "ميخائيل سكوت" الى اللاتينية في اوائل القرن الثالث عشر، وفي ذلك ما يثير دهشتنا، لان تأليفه ترجع الى النصف الثاني من القرن الثاني عشر وكان تأثيره في اوروبا عظيما جدا، لا على الاسكولائيين وحدهم، بل كذلك على طائفة كبيرة من أحرار الفكر من غير المحترفين أنكرت خلود الروح واطلق عليها اسم "اتباع ابن رشد" اما المعجبون به من الفلاسفة المحترفين فقد كانوا بادئ ذي بدء يتركزون بصفة خاصة في "الفرنسكيين وفي جامعة باريس" [١].

وتولت رعاية هذا الاتجاه جامعة باريس على قلة علمائها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر حتى القرن التالي، حين فر علمائها تحت ضغط الاضطهاد الى جامعة بادوا [٢].

ويسجل تاريخ الاضطهاد ان جامعة باريس التي اضطهد فيها اتباع ابن رشد قد طلبت من خريجيها بعد مضي قرن من الزمان ان يقسموا غير حانثين الا يعلمّوا إلا الأشياء التي تتفق مع تعاليم ارسطو كما شرحها ابن رشد [٣].

ونذكر كذلك من أنصار ابن رشد الفيلسوف الإنجليزي روجر بيكون (١٢١٤-١٢٩٢م) الذي يعد من أشهر العلماء في القرون الوسطى، وقد أُبعد روجر بيكون من جامعة أكسفورد سنة ١٢٥٧م بتهمة

(١) ينظر: برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة،د. زكي نجيب محمود، مراجعة، احمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ج٢، ص١٢١.

(٢) ينظر :توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، طبعة مصر، ص٩٥.

(٣)ينظر :توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص١٠٠

الإلحاد وعاش في باريس مدة من الزمن تحت المراقبة. وقد ورد اسمه مع (سيجر دو برابانت) بين الأساتذة الذين اتهمهم أسقف باريس بتدريس تعاليم ابن رشد الإلحادية.

واشتهرت رسالة سيجر دو برابانت التي خصصها للرد على خصوم ابن رشد، وكانت تحت عنوان: "ضد ذنيك الرجلين المشهورين في الفلسفة: ألبرت وتوما "والتي جاء فيها أنّهما يفسران الفيلسوف (ويعني أرسطو) تفسيراً خاطئاً، وإنّ ابن رشد على العكس هو الذي جاء بالتفسير الصحيح.

وقد تجلى هذا الأثر في باريس بعد ذلك بشكل واضح. فإنّ مدرسة السوربون فيها كانت مدرسة لاهوتية تعلم تعاليم القديس توما. ولكن كلية باريس كانت على خلاف ذلك. فإنّ كثيرين من أساتذة الفنون فيها كانوا من أنصار مذهب ابن رشد. وقد وجد في هذا العصر من آثار هذه الكلية تسعة دفاتر محتوية على تعاليم هذا الفيلسوف كانت تدرس في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

وهكذا صار ابن رشد عبارة عن راية تتحارب حولها شعوب وأمم مختلفة في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا. وكان له سمعتان: سمعة الفضل والنزاهة، وسمعة الكفر وبغض الدين.

وبالرغم من أن ابن رشد توفي في عام ١١٩٨، فقد حاولت الكنيسة وقف الحوار والجدل اللذين اثارتهما فلسفته في ارجاء اوروبا القرون الوسطى، وذلك عبر اصدار البابا لقرار بتحريم كتبه ومنع التعاطي بافكاره.

وقد أحرق البابا مدينة دي مونرشيا De Monarchia في عام ١٣٢٩، بسبب تداول بعض سكانها لأفكار ابن رشد «او ما عرف

بالـ Averroism ولعل ترجمتها الى العربية تكون «الابن رشدي». ومن المعروف أن دانتي، صاحب الكوميديا الالهية، أُتهم بالابن رشدية [1].

وقد استخدمت مقولات ابن رشد الفلسفيّة المتصلة بالعلاقة بين الفلسفة والدين والمتعلقة أيضا في السياسة،في معركة الإصلاح الدينيّ ومحاربة سلطة الكنيسة والتأسيس لمسألة فصل الدين عن الدولة لاحقا.

أما أعداء الكنيسة فكانوا، في ذلك الحين، تلامذة الفيلسوف العربي الأندلسي ابن رشد، وحواريه، من أولئك الذين قرأوا، في استفاضة كتبه الموضوعة ولا سيما "تهافت التهافت" وخصوصاً كتبه التي يشرح فيها أرسطو. كان ارسطو الدماغ القديم الجبار الذي تتحطم عنده كل الأدمغة. وقد كان الرشديون اللاتينيون قد استخدموا ابن رشد في "معركتهم ضد الايمان" بحسب الكنيسة وفي "معركتهم من اجل عقلنة الايمان" لذا لم يكن غريبا أن تقوم الكنيسة بمحاربة فكر ابن رشد واعتباره خطرا على اللاهوت السائد.

وتشير الوقائع التاريخية إلى أنّ البابا أصدر تحريما منع بموجبه دراسة ابن رشد وصنفه في خانة المهرطقين والملاحدة لأنّ فلسفته "تجعل للعالم نواميس طبيعية، وان عقائدها تقول بكون العالم قديم ازليّ غير مخلوق".

لقد كان الاثر الاول لكتابي (الطبيعة) و(مابعد الطبيعة) لارسطو وشروح ابن رشد، وهي الكتب التي وصلت الى باريس في العشر السنين الاولى للقرن الثالث عشر، ان زلزلت عقائد الكثير من طلاب الفكر المسيحي وقام بعض العلماء امثال (ادورد الدينتي)و(املر البيني)، يهاجمون بعض العقائد المسيحية الجوهرية لذا ظنت الكنيسة ان تسرب الافكار العربية اليونانية الى جنوب فرنسا ادى الى ضعف تمسك الطبقات

(١) ينظر: محمد البخيت، ابن رشد بين مدرسة اثينا وجحيم مايكل انجلو ص ١٢٠

المتعلمة بالدين القويم ، فالفرنسيسكاني يوحنا بكهام يكتب عام ١٢٨٥ الى اسقف لنكولن (انت تعلم اننا لانشجب البتة الدراسات الفلسفية مادامت تخدم العقائد اللاهوتية لكننا نشجب تلك المستحدثات الدنيوية التي تسربت منذ زهاء عشرين عاما رغما عن الحقيقة الفلسفية وعلى حساب الاباء الى اعماق اللاهوت فتأدت الى التنكر لمذهب الاباء والى الازدراء العلني به)[١]

ومن الشواهد على ذلك ما نقله (الفونسو الحكيم ١٢٥٢-١٢٨٤م) عن انتشار عدم الاعتقاد بالخلود بين مسيحيي اسبانيا [٢].

أثارت هذه المتغيرات الكنيسة فقد تمكن الدومنيكيين وهم أنصار الكنيسة في مدى ست او سبع سنوات من استصدار اربعين امرا من البابا يحظر الفلسفة الإسلامية و(حرمان) المشتغلين بها، ونكلت الكنيسة بالمتفلسفة في جامعة باريس والمتعاطفين مع ابن رشد، حرقا وإعداما حيث اضطروا الى الفرار الى بادوا وكانت البندقية بمجلس شيوخها كفيلة بتوفير الحماية لاهل الفكر، بل لقد سرت عند بعض المسيحيين موجة من السخط الشديد أتت على جميع التراث العلمي للمسلمين، وتجلت هذه الظاهرة عند امثال (بترارك) و(ريموندل١٣٢٥م) فقد اوقف هذا الاخير جهوده على الطواف في البلاد الأوروبية من باريس الى فينا الى جنوة و نابلي وبيزا، واثارة الناس ضد المسلمين وفلسفتهم، وعندما انعقد مجمع فينا عام ١٣١١م أرسل عريضة الى البابا يطلب فيها (حرمان) كل مسيحي ينظر في كتب ابن رشد وحظر تدريسه في مدارس اوروبا[٣].

(١) اميل بريهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط، ، ص١٥٦.

(٢) ينظر: توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، ص١٠٤.

(٣)ينظر :توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص١٠٢.

ويذكر أن مايكل انجلو، الذي يبدو أنه لم يكن من المُعجبين بفتك الابن رشدية بالفكر الكاثوليكي السائد إبان عصره، صّور ابن رشد في لوحته المسماة «الحكم الاخير» في الجحيم مع غيره من الفلاسفة العاطلين الذين أثاروا حنق بابا الكنيسة الكاثوليكية.

لم تقتصر مواجهة الكنيسة لهذه الافكار بالحالة الصدامية فحسب وانما تعدى ذلك لمحاولات التصدي الفكري ايضا، فقد وضع (توما الاكويني) رسالة في (وحدة العقل) رادا فيها على اتباع ابن رشد، وكذلك عرض (مارتن) لمناقشة وحدة العقل عند ابن رشد في كتابه (الدفاع عن الإيمان) [١].

بل ان الكنيسة ذهبت شوطا ابعد عندما قررت الاستقواء بالمفكرين الإسلاميين أنفسهم وخاصة الغزالي في مقابل التيار المتاثر بابن رشد، فان (ريموند مارتن) وضع كتابه السابق (الدفاع عن الإيمان) استجابة لرئيس هيأة الدومنكيين، وادخل فيه الكثير من آراء الغزالي ومنذ ذلك الحين افاد الكثير من علماء المسيحية من اراء الغزالي في إثبات الخلق بعد العدم، وبراهينه في التدليل على ان علم الله شامل للجزئيات وبرهنته على عقيدة البعث بعد الممات، وانتفع القديس (توما الاكويني) الذي عاصر (مارتن) برسالة الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) في وضع كتابه (الخلاصة الفلسفية في الرد على الامم غير المسيحية) الذي وضعه استجابة لطلب رئيس هيأة الدومنيكان السالف الذكر(ريموند بونافرت)، واوجه الشبه بين الغزالي وتوما الاكويني كثيرة[٢]، (ان كتب الغزالي وخصوصا التهافت والاحياء والاقتصاد والمعيار والمنقذ، قد نقلت الى اللاتينية بعد نحو اربعين سنة من وفاته، ويرى "مايرز" ان تاثير الغزالي

(١) ينظر: توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، ص٩٩.

(٢) ينظر: توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص١٠١.

الشخصي في اللاهوت المسيحي اعظم من تاثير"توما الاكويني" وان السكولائية المدرسية قد تقبلت اراءه وأصبحت سمة مميزة لفلسفة القرون الوسطى) [١].

ويعتقد (بلاثيوس) ان ابن العبري ابو الفرج من اعلام القرن الثالث عشر استفاد من كتب الغزالي لدرجة يمكن القول معها انه اخذ فصولا كاملة من كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين)، وأدرجها في كتبه، وقرّب (بلاثيوس) اكثر من غيره بين مقاطع: الإيمان، والخلاصة، ضد الكفار وبين نصوص تكاد تكون مترجمة حرفيا عن ابن سينا والغزالي، كما ان اليهود ايضا في حملتهم ضد الفلسفة قاموا بترجمة كتاب الغزالي (تهافت الفلاسفة) حوالي ١٥٣٨م،

ليدحظوا اتباع ابن رشد وارسطو، وذلك في حملة شنها الاكليروس ضد الفلسفة [٢].

يتضح لنا مما سبق أنه لم تمر على وفاة ابن رشد في مدينة مراكش المغربية سوى سبعا وعشرين سنة، حتى ولد في قصر "روكازيكا" بإيطاليا، طوماس الأكويني الذي سيتزعم حركة التأويل المثالي لفلسفة أرسطو، داخل الفلاسفة السكولاستيكين. إن أفكار أرسطو التي تم تأويلها تأويلا مثاليا، قد تم دمجها في اللاهوت المسيحي .وفلسفة طوماس الأكويني، التي تأسست على التأويل المثالي لفلسفة أرسطو، قد أصبحت هي الفلسفة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية في عصر الاقطاع الأوربي ولأن فلسفة ابن رشد كانت ذات توجه مادي، وكانت بالتالي تهدد الايديولوجيا المحافظة، السائدة داخل الكنيسة الكاثوليكية، فلذلك وجدت نفسها تتعرض إلى حملة واسعة من التشهير والتضييق في البلدان

(١)عبد محمد القلاني، نقد العق بين الغزالي وكانت، ص٤٨.

(٢) ينظر: توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص١٠١.

الأوربية، وخاصة إيطاليا، من طرف فلسفة طوماس الأكويني المثالية. بل إن هذه الأخيرة، لم تظهر في الأصل إلا كرد فعل على فلسفة ابن رشد. فالتأويل المثالي الذي أعطاه طوماس الأكويني لفلسفة أرسطو، كان الغرض منه محاربة التأويل المادي الذي أعطاه إياها ابن رشد وهكذا فالصراع الفكري والفلسفي العنيف، الذي شهدته أوربا في المرحلة ما قبل عصر النهضة، كان في أساسه بين فلسفة طوماس الأكويني المحافظة، وفلسفة ابن رشد النقدية ولما بزغ نمط الانتاج الرأسمالي في أوربا، ممهدا بذلك إلى ظهور عصر النهضة، الذي أحست فيه البورجوازية الناشئة بالحاجة إلى مفكريها الطبقيين، الذين يتولون مهمة التبشير والدفاع عن النظام الجديد، الذي وجد نفسه في تعارض مع النظام الاقطاعي الاسائد... فإن الأسلحة النظرية والفلسفية النقدية التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، والتي خاض بها مفكرو عصر النهضة البورجوازيون، حربهم الطبقية ضد الاقطاع والكنيسة، هي أسلحة فكر ابن رشد. إن جميع مفكري عصر النهضة الطبيعيين، سينحازون إلى التأويل الذي أعطاه ابن رشد لفلسفة أرسطو، وسيتبنون منطلقاته وأفكاره في الصراع ضد فلسفة طوماس الأكويني، المعبر الايديولوجي عن مصالح الكنيسة والاقطاع. إن فلسفة ابن رشد إذن، قد مثلت قاعدة الانطلاق للعقلانية الأوربية الحديثة، وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي

المبحث الرابع

أثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث

إن هذه القضية لم يتناولها الباحثون إلا على سبيل الإيماء إليها فقط، فإلى الآن لم تحظي هذه القضية إلا بالقليل جداً من اهتمام الباحثين، ولذا أناشد طلبة الدراسات العليا بقسم العقيدة والفلسفة بالنظر لهذه القضية بعين الجد ، والاعتبار ، فمعظم الباحثين ركزوا على تأثير الفلسفة الإسلامية على الفكر الأوربي في القرون الوسطي ، ولم يركزوا على التأثير الفلسفي الإسلامي على الفكر الغربي في العصر الحديث ، ومن خلال هذا المبحث سألقي الضوء على هذا الأمر مشيراً إلى بعض جوانب التأثير لا كلها من خلال أثر ابن رشد على الفكر الغربي في العصر الحديث مبينا راي الرافضين لهذا التأثير من خلال مطلبين :

المطلب الأول : المؤيدون لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث

إذا نظرنا في الدراسات الشرقية من المعاصرين نجد أنها تؤكد الأثر الكبير لابن رشد على الفكر الغربي الحديث ومن هذه الدراسات ما يلي :

١- **عباس محمود العقاد:** يرى أن الفلسفة الأوربية الحديثة متأثرة في بعض أفكارها بفلسفة "ابن رشد"، وهذا ما يدل عليه قول المؤرخين فتحدث عن ذلك قائلًا:(وقد دارت بين فلاسفة القرون الوسطي مساجلات مسهبة حول قدرة الله وعلم الله، أو حول الإرادة والفكرة، لا نظن أنها مرت دون أن تدخل في تفكير المطلعين عليها لحينها والمطلعين على حواشيها وذيولها في العصور الحديثة، ومنهم الفيلسوف الألماني الكبير أرثر شوبنهور "١٧٨٨م-١٨٦٠م" صاحب القول بفلسفة الإرادة والفكرة، وأن الرجوع إلى الفكرة هو غاية السعادة التي يرجوها الإنسان، لأن الفرد رهن الزوال ولا بقاء لغير العقل الذي

يترفع عن عالم الواقع أو عالم الإرادة، ويقول النقاد من الإسرائيليين، وغيرهم أن سبنوزا الفيلسوف الإسرائيلي الكبير "١٦٣٢م- ١٦٧٧م" أخذ من موسي ابن ميمون معاصر ابن رشد، وأن موسي بن ميمون أخذ من الفلسفة الرشدية، ولا سيما الإلهيات وما بعد الطبيعة، ويقررون أن أثر الفلسفة الرشدية في مذاهب الفلسفة اليهودية ظاهر كأثرها في مذاهب الفلسفة المسيحية، وإن اختلفوا في المدى والمقدار، ولا نظن أن مذهب ليبنتز Leibniz "١٦٤٦م- ١٧١٦م" في الممكنات المجتمعة بعيد من مذهب ابن رشد في الممكنات المخلوقة لحكمة إلهية، فخلاصة مذهب ليبنتز أن تغيير ممكن واحد ليس بالمستحيل، ولكن تغيير الممكنات التي يتمم بعضها بعضًا ويتعلق بعضها بغرض البعض الآخر هو المستحيل، ولهذا كان يقول عن هذه الدنيا إنها أحسن دنيا ممكنة، وهذا بعينه هو كلام ابن رشد حين رد على القائلين بجواز تغيير الممكنات وأن هذا العالم كله جائز أو غير واجب الوجود فهو قابل للتغيير، فإن جواب ابن رشد على هذا القول كما قدمناه أن المخلوقات التي خلقها الله على صورة من الصور لحكمة يريدها لا يمكن أن تتغير، وإلا كان خلقها على تلك الصور عبثًا، والعبث مستحيل في حق الله، وللفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم Hume "١٧١١م- ١٧٧٦م" كلام عن المعجزات وكلام عن الأسباب قريب جدًا من كلام ابن رشد في براهين المعجزات، ومن كلام الغزالي الذي يرد عليه، ومذهب الغزالي في الأسباب معروف، وهو أن السبب على اصطلاحنا في العصر الحاضر "ظاهرة" تقترن بالشيء وليست هي علة وجوده، وهو مذهب يوافق آراء العلماء المحدثين الذين يقررون أن مهمة العلم هي وصف

الظواهر المقترنة وليس من مهمته أن يصل إلى العلل، ولا سيما العلة الأولى، ولدافيد هيوم غير ما تقدم رأى في الشخصية الإنسانية يقارب من بعض الوجوه رأى أرسطو كما جاء في شروح ابن رشد وكثرت فيه أقوال المؤيدين والمعارضين في القرن الرابع عشر وما بعده إلى أيام هيوم، ومؤدى رأى هيوم هذا في الشخصية الإنسانية أنه يراقب نفسه كثيرًا ويتعمق في المراقبة فلا يحس وراء الانفعالات الحسية والخواطر المنتزعة منها شيئًا يدل على كيان مستقل يُسمى النفس أو الذات، ويشبه هذا الرأي أن يكون كرأي أرسطو في الشخصية الإنسانية خلوا من العقل الإلهي، فإنها عنده جسم له وظائف جسدية أو نفس نامية ونفس شهوانية، ولا حقيقة وراء ذلك إذا استثنينا العقل الذي هو عام غير منقسم ولا منفصل في ذات شخص من الأشخاص) [١]

ويؤكد "العقاد" أن أثر فلسفة "ابن رشد" وصل إلى الفلسفة المعاصرة وهذا لا يتم إلا بالمرور من خلال الفلسفة الحديثة فتحدث عن ذلك قائلًا:(وأقرب من هيوم إلى عصرنا وليام جيمس إمام مذهب البرجمية "١٨٤٢م-١٩١٠م" الذي يقول في مبادئ علم النفس: "أعترف بأنني في اللحظة التي أتحول فيها إلى مباحث ما وراء الطبيعة وأحاول أن أزيد من التعريف أرى أن القول يضرب من العقل العام Anima Mundi يفكر فينا جميعًا هو رأي مأمول على الرغم من صعوباته خير من القول بجملة من النفوس الفردية المنقسمة تمام الانقسام، لا بل عندنا في العصر الحاضر من علماء النفس المشغولين بدراسات النفس الإنسانية وعللها

(١) العقاد / عباس محمود العقاد: ابن رشد، من ص٥١: ٥٣.

وطباباتها رجل مثل مايرسون Myerson صاحب كتاب "متحدث عن الإنسان" يدير كتابه هذا الذي صدر سنة ١٩٥٢م على دراسات في الشخصية الفردية وفي العقل والنفس والجسم يخيل إليك، لولا مصطلحاتها العصرية، أنها منسوخة من بعض شروح ابن رشد أو المعقبين عليه، ومن الفلسفات العصرية كفلسفة الوجودية ما يكثر فيه الكلام عن الوجود والماهية وعما يسميه بعضهم وجودًا "صادقًا" تمييزًا له من مطلق الوجود فيسبق إلى خاطر المأخوذ بهذه المصطلحات لأول وهلة أنها بدعة من بدع أوربة الحديثة، وما هي في الواقع إلا تكرير لمصطلحات قديمة وضعت في غير موضعها، وهذا مثال لما جاء منها في كتاب التهافت لابن رشد حيث يقول: "إن لفظ الوجود يقال على معنيين: أحدهما ما يدل عليه الصادق مثل قولنا هل الشيء موجود أم ليس بموجود، والثاني ما يتنزل من الموجودات منزلة الجنس، وأما هذا الرجل – أي الغزالي – فإنما بني القول على مذهب ابن سينا وهو مذهب خطأ، وذلك أنه يعتقد أن الأنية –أي كون الشيء موجودًا – شيء زائد على الماهية خارج النفس، وكأنه غرض فيها، وأن اسم الموجود يقال على معنيين أحدهما على الصادق، والآخر على الذي يقابله العدم، وهذا هو الذي ينقسم إلى الأجناس العشرة، وهو كالجنس لها، والموجود الذي بمعني الصادق هو معني في الأذهان، وهو كون الشيء خارج النفس على ما هو عليه في النفس، وهذا العلم يتقدم العلم بماهية الأشياء، أعنى أنه ليس يُطلب معرفة ماهية الشيء حتى يعلم أنه موجود، وأما الماهية التي تتقدم علم الموجود في أذهاننا فليست في الحقيقة ماهية، وإنما هي شرح معنى اسم من الأسماء، فإذا علم أن ذلك المعني موجود خارج النفس علم أنها ماهية واحده، وبهذا المعني قيل في كتاب المقولات إن كليات الأشياء المعقولة

إنما صارت موجودة بأشخاصها وأشخاصها معقولة بكلياتها، وقيل في كتاب النفس إن القوة التي بها يدرك أن الشيء مشار إليه وموجود غير القوة التي بها ماهية الشيء المشار إليه، وبهذا المعني قيل إن الأشخاص موجودة في الأعيان والكليات في الأذهان، فلا فرق في معني الصادق في الموجودات الهيولانية والمفارقة"، وهذه المصطلحات تختلف في مدلولها كاختلاف معني "الصادق" من زيادة المفهوم في الكليات إلى معني الصادق كما يريدونه حديثًا ويطلقونه على الموجود الذي يدرك الماهيات والكليات ولكن القول في الوجود والماهية وأن معرفة الموجود لا تتوقف على العلم بماهيته قول من أقدم ما كتب في معاني هذه المصطلحات، ولا نعني أن هذه الآراء جميعًا وليدة الاطلاع على شروح ابن رشد بنصوصها أو ترجماتها، ولكننا نعني أن الفيلسوف الجدير باسم الفيلسوف في العصر الحديث لا يخلو أن يكون قد اطلع على مذاهب القرون الوسطي أو على التعقيبات التي أوحتها إلى الخالفين وابتعثُها في عقول المفكرين، وليس في العصر الحاضر من اشتغل بالفلسفة ولم يطلع على أطوار المذاهب الفلسفية وسوابق الآراء حول أصول المسائل الكبرى فيما وراء الطبيعة، ويكفى أن يكون قد اطلع على خلاصة هذه الأطوار لتنعقد الرابطة بينه وبين السلف الذي لا فكاك منه، ولا سيما السلف الذي وضع الأساس ثم تعاقبت بعده أدوار البناء، وذلك هو المقصود ببعد الأثر الذي أحدثته شروح ابن رشد في زمانها وبعد زمانها، ولا نخال فيلسوفًا أو شارحًا كان لكلامه من الشيوع والتأثير ما كان لهذا الشارح العظيم، إنها لعبرة ليس لها مكان أحق من مكان الكلام على تاريخ فيلسوف حكيم، لو كان الاعتبار بالحوادث من عادات الإنسان، بل من عادات المشتغلين بالحكم من الناس، لما صودر بعد ابن رشد كتاب واحد، ولا آمن أحد بجدوى

المصادرة في تفنيد الآراء، فقد رزق ابن رشد أنصارًا ومعجبين من أصحاب الأديان الثلاثة لم يرزق مثلهم فيلسوف قبله ولا بعده، وهو هو الذي كان له مصادرون ومضطهدون من أتباع كل دين وخدام كل سلطان، ولو أن المصادرين عملوا قصدًا وعمدًا على نشر آرائه وشروحه لفاتهم بعض النجاح وأخطأهم بعض التدبير) [1]

٢- **أحمد أمين وذكي نجيب محمود**: تحدثا عن تأثير فلسفة "ابن رشد" في الفلسفة الأوروبية الحديثة فقالا:(اتصل الأوربيون بالمسلمين في الأندلس اتصالًا وثيقًا، واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أهم المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية، وهي لغة الأدباء والعلماء في القرون الوسطي، حتي إن كثيرًا مما بقي من مؤلفات ابن رشد حفظت إلى الآن باللغة اللاتينية ولا نجد أصلها بالعربية، وكان من أشهر من قام بهذه الحركة "ريموند Raymond" الذي كان مطرانًا لطليطلة من سنة ١١٣٠م إلى سنة ١١٥٠م، فقد أسس جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية إلى اللغة اللاتينية، فنقلوا من العربية أهم كتب أرسطو وما علقه عليها العرب من شروح، كما نقلوا أهم كتب الفارابي وابن سينا، وكان من أثر هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية إلى اللاتينية يقرأ في باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية، وقد مرت حركة استفادة الأوروبيين من الثقافة اليونانية في ثلاثة أدوار، الدور الأول: نقل الفلسفة اليونانية والكتب العلمية من العربية إلى اللاتينية، الدور الثاني" النقل من اليونانية

(١) العقاد / عباس محمود العقاد: ابن رشد، مرجع سابق، من ص٥٣: ٥٥.

مباشر بعد سقوط القسطنطينية، والثالث: نقل الشروح العربية إلى اللاتينية، وجاء فردريك الثاني سنة ١٢١٥م، واتصل المسلمين اتصالًا وثيقًا في صقلية وفي الشام في حروبه الصليبية، واقتبس كثيرًا من آرائهم وعاداتهم وعقائدهم، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان يعجب بفلاسفة المسلمين، وكان يعرف اللغة العربية ويستطيع أن يقرأ بها الكتب الفلسفية في مصادرها الأصلية، وأنشأ سنة ١٢٢٤م مجمعًا في نابلي لنقل العلوم العربية والفلسفة العربية إلى اللاتينية والعبرية لنشرها في أوروبا، وبفضل فردريك ذهب "ميكائيل سكوت" إلى طليطلة وترجم شروح ابن رشد على أرسطو، وقبل ذلك كانت قد نقلت إلى اللاتينية جمهرة من كتب ابن سينا واستعملت في باريس حول سنة ١٢٠٠م، وفي القرن الثالث عشر كانت كل كتب ابن رشد تقريبًا قد ترجمت إلى اللاتينية ما عدا كتبًا قليلة، منها: كتاب تهافت التهافت الذي رد به على تهافت الفلاسفة للغزالي، فقد ترجمت في القرن الرابع عشر، وكان أهم مركز لتعاليم ابن رشد في جامعة بولونيا وجامعة بادوا Podua في إيطاليا ومنها انتشرت هذه الثقافة في إيطاليا الشمالية الشرقية إلى القرن السابع عشر، واستمرت كتب ابن سينا في الطب سائدة إلى ما بعد هذا العصر ورجال النهضة الحديثة الذين قاموا بحركة الثورة الفكرية كانوا يدرسون على هذه الكتب، أو يتتلمذون لمن درسوا عليها، فروجر بيكون الذي سبق أهل زمنه في معارفه وطريقة بحثه أخذ ثقافته العلمية من الأندلس، ودرس فلسفة ابن رشد، والقسم الخامس من كتابه في البصريات optics مستمد ومساير لكتاب ابن الهيثم في هذا الموضوع نفسه، وطالما ارتفعت شكوى رجال الدين المسيحيين في الأندلس من أن المسيحيين

يدرسون علم العرب المسلمين، وعابوا مطران أشبيلية لأنه درس فلسفة الكافرين، يعنون المسلمين، وعلى كل حال فجملة الأمر ما لخصه الأستاذ "لكى Lecky" خير تلخيص إذ قال، "لم تبدأ النهضة الفكرية في أوروبا إلا بعد أن انتقل التعليم من الأديرة إلى الجامعات، وإلا بعد أن حطمت العلوم الإسلامية، والأفكار اليونانية، والاستقلال الصناعي، سلطان الكنيسة") (١)

٣. **عبد المعطي بيومي:** تحدث عن أثر فلسفة "ابن رشد" في الفلسفة الأوروبية الحديثة في الفصل الثالث من كتابه "ابن رشد وفلسفته" تحت عنوان "أثر الفلسفة الإسلامية الرشدية" فقال:(فإذا تجاوزنا العصور الوسطي إلى العصور الحديثة ووجدنا الاتجاه يتحول عن الدين الذي كان مركز الاهتمام عند الأوروبيين في العصور الوسطي إلى العلم والعقل وجدنا تأثير الفلسفة الإسلامية لا يقل وضوحًا في هذين الاتجاهين، ففي مجال العلم نرى أهم المدارس في هذا الاتجاه وهي المدرسة التجريبية التي أتم بناءها الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون متأثرًا خطى سمية روجر بيكون الذي أسس هذا الاتجاه منذ البداية على الفلسفة الإسلامية وشرائط المنهج العلمي في هذه الفلسفة وهذه مسألة مشهورة في تاريخ الفكر الأوروبي والإسلام على حد سواء، أما في مجال العقل فإن أظهر المدارس العقلية التي بدأها الفيلسوف ألفونس رينيه ديكارت، وقد تأثر ديكارت بالإمام الغزالي تأثر ظاهر في فلسفة كل من الرجلين فيما يتعلق كل منهما بأن الحدس أهم وأوضح طرق المعرفة والتركيز لذلك ستطلعنا لمعرفة كل

(١) أحمد أمين، وذكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م، هامش ص٢٥، ٢٦.

شيء، ويعبر كل من الفيلسوفين عن ذلك تعبيرًا يكاد يكون واحدًا مما ينفي احتمال مجرد توافق الخواطر ويثبت التأثر المنهجي والفكري، فالغزالي يقول أن الإنسان حين يعرف ربه وذاته يعرف الحقيقة التي تتمثل في أن الإنسان "لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله"، وديكارت يقول عن ذلك أن المرء يعرف حينئذ أنه موجود ناقص في مقابل كمال الوجود الإلهي، وأن وجوده معتمد على وجود الله كل الاعتماد في جميع لحظات حياته، ويقول الغزالي أن الله ليس فقط خالقًا وحافظًا للوجود الإنساني بل أنه وحده هو الموجود الحق، ويقول ديكارت في هذا المعني أن الوجود صفة ضرورية لله وحده، وذلك ليس لأحد إلا لله، وإذا كان ديكارت قد تأثر إلى هذا الحد بالإمام الغزالي فقد تأثر به الفيلسوف الألماني عما نويل كانت في نقد الاعتماد على العقل في ما ليس من مجال العقل من الميتافيزيقا وقال كانت أن العقل يستطيع أن يأتي بدليلين متناقضين تمامًا يثبت بأحدهما قدم العالم ويثبت بأحدهما حدوثه بل قد يأتي وجوده في نفس الوقت وهذا خطأ، وهذا هو المعني الذي يشيع من كتاب الإمام الغزالي تهافت الفلاسفة إذ أنكر الإمام على الفلاسفة اعتمادهم على العقل والتعويل عليه كذلك نجد أن الفيلسوف سبنوزا قد تأثر بموسي بن ميمون الذي كان تلميذًا لابن رشد، كما نرى تأثر ليبنتز بابن رشد في فكرته عن تغيير الممكنات التي يتعلق بعضها ببعض هو المستحيل ولهذا كان يقول عن هذه الدنيا أنها أحسن دنيا ممكنة، وهذه الفكرة نجدها في تهافت التهافت عند ابن رشد إذ يرى أن المخلوقات خلقها الله على صورة من الصور لحكمة يريدها ولا يمكن أن تتغير وإلا كان خلقها على

تلك الصورة عبثا والعبث محال على الله، كذلك نرى فكرة ابن رشد في العقل العام أو النفس الكلية واضحة عند وليم جيمس الذي يقول: "أعترف بأنني في اللحظة التي أتحول فيها إلى مباحث وراء الطبيعة وأحاول أن أريد من التعريف، أرى أن القول بضرب من العقل العام يفكر فينا جميعًا هو رأى مأمون على الرغم من صعوباته خير من القول بجملة من النفوس العودية المنقسمة تمام الانقسام"، وهكذا لم تخل مدرسة أو فيلسوف جدير بهذا الاسم في العصور الحديثة إلا وقد اطلع على الفلسفة الأوروبية في القرون الوسطي المشبعة بروح التأثير بالفلسفة الإسلامية، وبهذا نستطيع القول بأن الفلسفة الإسلامية كانت ذات تأثير مباشر في تحقيق النهضة الأوروبية، ويرى د أوليرى أن أثر الفلسفة الإسلامية البالغ في الفكرين المسيحي واليهودي كان أقوى مما ترك من أثر في المسلمين أنفسهم وقد لقيت هذه الثقافة تطورها النهائي في شمال شرق إيطاليا حيث كان لها فعلها كأثر مضاد للكنيسة إذ مهدت الطريق أمام النهضة الأوروبية)[1]

(١) بيومي/ د عبد المعطى محمد بيومي: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، من ص١٧١: ١٧٤.

المطلب الثاني : الرافضون لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث

وهناك من مفكري الشرق من يرفض هذا التأثير متأثرا بالنزعة العنصرية لمفكري الغرب الرافضين لأي أثر لابن رشد على الفكر الغربي الحديث ، ومن هؤلاء:

فرح أنطون : فقد فَصَلَ "فرح أنطون" الفلسفة الحديثة عن فلسفة "ابن رشد" ونفي أن تكون لفلسفة "ابن رشد" أثر على الفلسفة الحديثة فقال:(وسبب زوال فلسفة ابن شد والفلسفة اليونانية من طريق الفلسفة الحديثة يومئذٍ دخول هذه الفلسفة في طريق جديدة، فإن فلسفة ابن رشد تحملت هجمات أنصار أفلاطون واللاهوتيين ومجمعي لاتران وترانته واضطهاد ديوان التفتيش وردَّت الجميع على أعقابهم خاسرين ولكنها لم تستطع التغلب على الفلسفة الحديثة الجديدة المبنية على التجربة والامتحان والمشاهدة، وقد كان من أبطال هذه الفلسفة ودعاتها المؤسسين ليوناردي فنسي وبرونو وساربي واكوننريو وغاليله المشهور الذي غير وجه الأرض باكتشافه دوران الأرض وديكارت ولوك وليبنتز ونيوتن وفرنسيس باكون، وفرنسيس باكون هذا أول من بدأ بهدم الفلسفة اللاهوتية القديمة "السكولاستيك" لإقامة صرح العلم الوضعي الجديد المبني على المشاهدة والتجربة والامتحان، وقد كان من البديهي قيام قاعدة كهذه القاعدة بعد هذا الاختلاط الغريب الذي كان في الفلسفة الأوروبية قبله، فإن علماء "السكولاستيك" كانوا فوضي بعضهم يعتمد على أرسطو العربي وبعضهم على أرسطو اليوناني والاختلاف في التفسير والتأويل قائم بينهم على ساق وقدم، وكان مناظروهم من علماء الطبيعة في نضال ونزاع معهم ولكنهم كانوا محتاجين إلى بوق جهوري الصوت يترجم عما في نفوسهم ويغطي صوته أصوات خصومهم، فكان فرنسيس باكون هذا البوق، بل كان الريح العاتية التي كنست الفلسفة القديمة كنسًا وذهبت بتعاليمها الجدلية

وتصوراتها الخيالية) [1]

وأخذ "فرح أنطون" يوضح وجهة نظره هذه بذكر تاريخ الحركة للفلسفة الحديثة تلك الحركة التي وصفها بأنها أنهت الفلسفة القديمة فقال:(وإليك تاريخ هذه الحركة الفلسفية التي انتهت بالقضاء على الفلسفة القديمة، كانت الفلسفة الأوروبية مبنية من قبل على الفلسفة اليونانية التي وضعها أرسطو ونقلها إلى أوروبا ابن رشد وفلاسفة العرب، وكان يكفي أن يقال: "قال أرسطو" لينحسم كل جدال، فكانت العقول خاملة لا تتصرف بشيءٍ ولا تجترئ أن تُحدث شيئًا حذرًا من الخروج عن القواعد المقرر، وكان رأس هذه القواعد "القياس" وهو المعروف "بآلة ارسطو" أو ميزانه لأن الحقائق لا تُدرك بدونه، مثال ذلك: إذ أخذت النار ووضعت فيها ماءً فإن الماء يتبخر، فكرر هذه التجربة عدة مرات فإذا تبخر الماءُ في كل مرة وجب أن تجزم بأن التبخر ناموس من نواميس الطبيعة، ثم إنك تقيس اللبن على الماء فنقول: بما أن اللبن سائل كالماء فهو يتبخر أيضًا مثله، وبناءً عليه تكون قد عرفت طبيعة اللبن من قياسه على الماء، هذا هو القياس، فلما جاء باكون ورأى ذلك الخمول الفلسفي رام إصلاحه، فكتب في ذلك عدة كتب منها كتابه "القياس الجديد" و"الإصلاح العظيم"، وهو أهم كتبه ولم يصدر منه سوى جزئيين في عام ١٥٩٧م- وإليك خلاصة الآراء الفلسفية التي نشرها في كتبه، رأيه في التمدن اليوناني وفلسفته – يحمل باكون في كتبه على الفلسفة السكولاستيك اليونانية حملات شديدة، ومن اعتراضاته أن كل ما يدرّسونه اليوم "أي في أيام باكون" يدرّسونه بناءً على أقوال اليونان ولا سيما أرسطو مع أن اليونان لم يعرفوا شيئًا من نواميس الطبيعة ولم يقرأوا شيئًا في كتابها السامي، فكيف يريد الفلاسفة تقييد العقل البشري بمعارف اليونان إذا كان هؤلاء لم يدرسوا الطبيعة نفسها، وفضلًا عن ذلك فإن اليونان أمة قديمة وقد كان البشر في

(١) أنطون/فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق ص٨١، ٨٢.

عصرهم في دور الطفولية ونحن الآن في دور الشيخوخة، فلمن نسمع؟ وممن نتعلم؟ من الأطفال أم من الشيوخ؟ فالواجب علينا إذًا أن نُطلق العقول من قيود فلسفة اليونان ونترك كل واحد منا يمتحن الأمور بنفسه ويشاهد نواميس الطبيعة بعينه ويزن أحكامها بعقله، ومع ذلك فإن الفلسفة اليونانية لم تُثمر شيئًا إلى الآن ولم نحصل بواسطتها على فوائد ومنافع عملية، وكل ما استفدناه منها أنها تعلمنا طرقًا سفسطائية في الجدل تجعلنا لا نطلب الحقيقة في مباحثنا ولكن حب الفوز والغلبة، فيجب تغيير هذه القاعدة التي جعلها العلم دعامته ووضع دعامة عمليه جديدة له ليثمر ثمارًا عملية، ولكن قبل هدم القاعدة القديمة يجب انشاء "ترتيب" جديد للعلم أصولًا وفروعًا لوضع أصول كل فرع منه على الترتيب، وبناءً على ذلك وضع باكون الترتيب المنسوب إليه وعليه يعتمد العلماء، الترتيب المشهور بترتيب باكون – قسم باكون قوى نفس الإنسان في هذ الترتيب إلى ثلاثة أقسام "الذاكرة، والتصور، والعقل" وجعل أصول العلم وفروعه تتفرع من هذه الكلمات الثلاث، فمن "الذاكرة" يشتق التاريخ، ومن "التصور" يشتق الشعر، ومن "العقل" تشتق الفلسفة، ثم إن باكون يأخذ "التاريخ ، والشعر، والفلسفة" كلًا بمفرده ويفرع منه فروعه، فالتاريخ طبيعي وبشرى، والطبيعي يشمل درس الطبيعة ما فوق وما تحت من علم الهيئة "علم الفلك" والجيولوجيا والجغرافيا إلخ، والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي "الغير ديني" وتاريخ الأدب والفنون – وأما الشعر فإنه يكتفي بقسمته إلى ثلاثة أقسام وهي: الشعر للوصف، والشعر للروايات، والشعر للأمثال– وأما الفلسفة فهي ثلاثة فنون، فن معرفة الله، وفن معرفة نظام الطبيعة، وفن معرفة نظام الإنسان، ثم يفرع باكون كل واحد من هذه الفروع فروعًا عديدة يضيق المقام دونها، ولو أتينا عليها كلها لوجد القارئ أنه لا يبقي أصلًا للعلم ولا فرع خارجًا عن هذه الدائرة، ميزان باكون ضد ميزان ارسطو– فبعد وضع باكون هذا الترتيب للعلم وشرحه كل أصوله وفروعه شرحًا كافيًا وافيًا وجه همته إلى وضع قاعدة

لبنائه، فقال بوجوب ترك قواعد اليونان وأرسطو والاعتماد على العقل في ذلك البناء، وكانت قاعدة أرسطو توجب كما تقدم أن كل أمر يُجرَّب عدة مرات ويفضي إلى نتيجة واحدة يجب أن يُعدَّ ناموسًا طبيعيًا، وقد ذكرنا مثال ذلك في تجربة تبخير الماء وقياس اللبن عليه، أما باكون فإنه قال إن التجربة عدة مرات لا تكفي بل يجب معها أمران، الأول إعادة التجربة والامتحان في نفس المادة المطلوب فحصها إلى ما شاء الله حتي لا تبقي زيادة لمستزيد واستئناف التجربة في كل جزءٍ من أجزاء المادة ومطاردة الأسرار الطبيعية إلى أبعد مكامنها، وثانيًا عدم الاكتفاء بالامتحان الإيجابي بل بإجراء امتحان سلبي معه، مثال ذلك: بخر الماء بالنار يتبخر فأعد التجربة عدة مرات تجده تبخر دائمًا، هذا هو الامتحان الإيجابي، أما الامتحان السلبي فهو أن تأخذ بخار ذلك الماء وتبرده فإذا عاد ماءً كان العمل صحيحًا وجاز لك أن تعدَّ التبخر ناموسًا طبيعيًا، ولا يجوز لك أن تقول إن أرسطو أو أفلاطون أوأيًا كان قد قال ذلك وأثبته فعلينا أن نصدقه فإننا نريد أن نحكّم في أمورنا عقولنا لا عقول الذين تقدمونا، أي أننا لا نصدق أحدًا ولا نبني حكمًا على حكم أحد ما لم تظهر لنا صحة قوله بالتجربة والامتحان والمشاهدة والبرهان– فبناءً على ذلك كُنست جميع المبادئ القديمة والتعاليم التي من وراء العقل كنسًا وحل محلها علم المحسوسات أو ما يسمونه العلم الوضعي أو الامتحاني، وقد أطلق باكون وأنصاره بذلك عقول العلماء والفلاسفة من قيود الماضي وأعدوا للعلم ميدانًا فسيحًا قرن فيه العلم بالعمل فنشأت عنه الاكتشافات والاختراعات التي عرفتها في عالم العلم والصناعة والزراعة، فكأنه روح الحرية بُثَّ في العقل والعلم والعمل فأحياها معًا) [1]

ومن خلال دراستنا لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث وبالاطلاع على دراسات المؤيدين والرافضين نستطيع أن نؤكد على أن :

(١) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مرجع سابق، من ص٨٢: ٨٤.

تأثيرات "ابن رشد" على الفلسفة الأوروبية الحديثة من المسائل الهامة في تاريخ الفلسفة وذلك لأن الفكر الإنساني يشكل سلسلة تتكون من حلقات مرتبطة ببعضها ويؤكد على هذا الترابط بين الأجيال والحضارات بعضها ببعض بشكل أو بآخر، ولكن "فرح أنطون" نفي أي علاقة لتأثير فلسفة "ابن رشد" على الفلسفة الأوروبية الحديثة مدعيًا أن الفلسفة الحديثة هدمت فلسفة "ابن رشد" والعصر الوسيط تمامًا، لأنها اعتمدت على التجربة والمشاهدة وسلكت هذا الطريق الذي لا ينبغي السلوك داخله إلا بهدم أي فلسفة سابقة، "ففرح أنطون" وجه فكره إلى هذا الاتجاه ولم يقم بتوضيح المسألة من جميع جوانبها فمن المعلوم أن "ابن رشد" من أشهر فلاسفة القرون الوسطي ومؤثرًا فيها وممهدًا لعصر النهضة الأوروبية لأن هناك نماذج فكرية تأثرت في فلسفة العصر الحديث في أوروبا لا تنكر، منها تأثر "اسبينوزا" بفكر "ابن رشد" من خلال "موسي ابن ميمون".

ويؤكد "العقاد" أيضًا على أن مذهب:(ليبنتز في الممكنات المجتمعة ليس ببعيد عن مذهب ابن رشد)، ويقول "العقاد" أيضًا عن دافيد هيوم:(وللفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم كلام عن المعجزات وكلام عن الأسباب قريب جدًا من كلام ابن رشد في براهين المعجزات) وكل هذا يدل على وجود أثر ممتد إلى الفلسفة الأوروبية الحديثة وهذا الامتداد يدل على ارتباط الفكر الإنساني وتأثره ببعضه وخاصة في الفلسفة، ولذا يلخص الأستاذ "لكي" هذا التأثير خير تلخيص إذ قال:(لم تبدأ النهضة الفكرية في أوروبا إلا بعد أن انتقل التعليم من الأديرة إلى الجامعات، وإلا بعد أن حطمت العلوم الإسلامية، والأفكار اليونانية، والاستقلال الصناعي، سلطان الكنيسة) [١]

فكان من الواجب على "فرح أنطون" أن يتحدث عن بيان الأثر بكل دقه وأمانة وأن ينوع مصادرة ولا يوجه فكره تجاه فكره واحدة وهي اتباعه

(١) أحمد أمين، وذكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، صـ٢٦.

لأستاذه "رينان" ولفكرة جعل "ابن رشد" فيلسوف ملحد مادي فهذا ما عمل عليه "رينان" ومن بعده تلميذه "فرح أنطون"، ولكنه للأسف اتبعه هنا أيضًا فنفي وجود أي أثر كان وذلك تمامًا مثل ما فعل أستاذه "رينان" الذي أكد في كتابه ذلك، ومن أمثلة التأكيد على قول "رينان" أذكر بعض أقواله في كتابه لتأكيد نفي الأثر وأن فلسفة "ابن رشد" أصبحت من التراث قوله:(وما انفكت الرشدية تقاوم، منذ ثلاثة قرون، حملات الأفلاطونية وعلماء الأدب القديم وعلماء اللاهوت ومجمع لا تران الديني ومجمع ترانت الديني وديوان التفتيش، وقد زالت يوم ظهور المدرسة الكبرى الرصينة، أي المدرسة العلمية) [١]

وأيضًا قولة:(ومع ذلك فإنه يمكن أن يُنظر إلى تلاشي الرشدية من وجهة نظرٍ أخرى وذلك لأن هذا الزوال إذًا كان نصرًا للمنهاج العقلي والعلمي من ناحية فإنه نصر للأرثدوكسية الدينية من ناحية أخرى) [٢]، وأيضًا قوله:(ويُعده ليبنتز مؤلفًا ضارًا أصاب العالم النصراني بأعظم ضرر) [٣]

فهنا "فرح أنطون" ألغي أي أثر متبعًا أستاذه "رينان" وذلك على العكس تمامًا لما ذكره المؤرخون والعلماء من أنه لا بد من التأثير في جوانب بل وامتداد الأثر إلى العصر الحاضر، وذلك سنة الله في خلقة لأن علم الإنسان ناقص ولذا يقول العلماء أن قوانين العلم احتماليه متصفه بالتراكمية بمعنى أن اللاحق يأخذ من السابق ويضيف عليه فطالما أخذ من السابق له أصبح متأثرًا به، وهذا ينطبق على جميع العلوم، وإذا كان هذا شأن العلم فإن الفلسفة أحق بذلك لأنها فكر ملك للحضارات الإنسانية ينتقل عبرها من واحده لأخرى لتؤثر بعضها في بعض ولتكمل سلسلة التفكير الإنساني الذي لا يقدر أحد أن يخفي أثره.

(١)ارنست رينان: ابن رشد والرشدية، مرجع سابق، صـ٤١٤، ٤١٥.

(٢) المصدر السابق، صـ٤١٥.

(٣) المصدر السابق، ٤٣١، ٤٣٢.

الخاتمة : النتائج والتوصيات

أولا : النتائج

١- إن التراث الإسلامي تراث ثري ولم تقف حدوده عند إثراء الحضارة الإسلامية وحسب، وانما تعدى ذلك الى تحريك الفكر الغربي الذي كان يشهد ركودا بيناً بسبب هيمنة الفكر التقليدي للكنيسة، لذا فان حركات التجديد هناك استلهمته لتحريك الوعي ومن ثم الواقع لصالح بناء واقع جديد، وكانت في مقدمة الإشكاليات التي استنجد بها الفكر الغربي بالفلسفة الإسلامية هي إشكالية علاقة الدين بالعقل التي كانت قد وجدت حلولا مميزة في الفكر الإسلامي.

٢- عملت أماكن متعددة على ترجمة التراث الفلسفي الإسلامي ونقله الى العالم اللاتيني، وخصصت له مراكز وأنفقت عليه أموالا كثيرة طمعا في الإفادة من العقل المسلم في طرح سؤال التغيير، ولعل من ابرز الفلاسفة الذين أسهموا في هذه النهضة هو فيلسوف قرطبة ابي الوليد بن رشد، اذ ظهر تيار كبير عرف باسمه وهو الرشدية اللاتينية فتبنته جامعات ومفكرون ودافعوا عنه.

٣- نظرا للآثار الكبيرة التي تركها التراث العربي المنقول الى أوروبا المسيحية وتبنيه من قبل مثقفين وأساتذة جامعات، فقد انبرت الكنيسة للتصدي له ومواجهته بإصدار مؤلفات ترد على الفكر الفلسفي الوارد عبر العرب، والمفارقة انها في ردها هذا تستعين بنفس الفكر الإسلامي مثل استثمار كتابات الغزالي واستبدال شواهد القرآن بشواهد من الكتاب المقدس.

٤- . أن ابن رشد كان له أثر كبير على الفكر الغربي في العصور الوسطى ، بل على العقيدة الكنسية نفسها حتى صار ابن رشد عبارة عن راية تتحارب حولها شعوب وأمم مختلفة في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا.

٥- . أن ابن رشد كان له أثر كبير على الفكر الغربي الحديث

٦ - إلقاء الضوء على مفكر إسلامي معاصر سخَّر حياته لخدمة الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ، فحمده العلماء قبل المتعلمين ، والتلاميذ قبل الشيوخ .

٧ - أن كل عالم بينه وبين عصره اتفاق ، واختلاف ، وتأثر وتأثير ، لأن أي إنسان ابن عصره وبيئته يتأثر بهما ويؤثر فيهما ، خاصة إذا كان ممن رزقهم الله عقلاً راجحاً ، وبراعة في علوم متعددة مثل ابن رشد .

٨- إن مناهج البحث العلمي لها دور كبير في خدمة الفكر الإنساني فهي مرشد أمين للباحث ، ونحن في مجال الدراسات الإسلامية والعربية نحتاج لهذه المناهج لأننا نملك تراثاً ضخماً طالت عليه قرون ، وأصابه ما أصابه من تلف وإتلاف ، ومن ثم لا نستطيع بعث هذا التراث دون الاستعانة بهذه المناهج

٩ - إن السطور السابقة تكفي لتوضيح مدى الاسهام الهام لابن رشد في تاريخ الفلسفة البشرية. والسادة البورجوازيين الأوربيون، وكل من حذا حذوهم من عنصريين ومتعصبين، لم يكفهم مسخ فكر ابن رشد وحده، بل لقد مسخوا أيضا حتى اسمه نفسه. هكذا قد تحول بقدرة قادر، اسم "ابن رشد" العربي، إلى اسم « أفيرويس » اللاتيني**!**

ثانيا : التوصيات

نخرج من هذا البحث بعدة توصيات منها :

١. أن أثر مفكري الإسلام على الفكر الغربي في القرون الوسطى والعصر الحديث ينبغي أن يكون محور أبحاث ودراسات لبيان أن الإسلام كان له أثر عظيم في قيام الحضارة المعاصرة
٢. أن ابن رشد ينبغي أن يأخذ حقه من الدراسات خصوصا فيما يعلق بأثره على الفكر الغربي الحديث
٣. يجب على المعنيين بالبحث عن أثر مفكري الإسلام على الفكر الغربي أن يرسلوا لجنة علمية إلى المكتبة الوطنية بفرنسا للاطلاع على الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية هناك
٤. عقد مقارنات بين مؤلفات مفكري الغرب في العصر الحديث مثل ديكارت ، وإيمانويل كانط وديفيد هيوم وليبتز وغيرهم نجد فيها الكثير من أفكار الغزالي وابن رشد في المنقذ والتهافتين ، وجعل هذه المقارنات محورا للدراسات والأبحاث

.

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
١	المقدمة	١٩
٢	أهمية الدراسة وسبب اختيار الموضوع :	٢٢
٣	خطوات البحث وخطته :	٢٣
٤	المبحث الأول : ابن رشد حياته ومؤلفاته	٢٥
٥	ابن طفيل وابن رشد	٢٨
٦	مؤلفات (ابن رشد):	٣٠
٧	المبحث الثاني : ترجمة فلسفة ابن رشد إلى العالم الغربي	٣٤
٨	المطلب الأول: أسباب اللجوء إلى التراث العربي الإسلامي:	٣٥
٩	المطلب الثاني : أهم المدن التي احتضنت عملية الترجمة لتراث ابن رشد:	٣٨
١٠	المبحث الثالث :أثر ابن رشد على الفكر الغربي في القرون الوسطى	٤١
١١	المطلب الأول: الدراسات الغربية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى :	٤١
١٢	المطلب الثاني : الدراسات الشرقية المؤيدة لأثر "ابن رشد " على الفكر الأوربي في العصور الوسطى	٤٣
١٣	المطلب الثالث: اثر ابن رشد على العقيدة الكنسية في الغرب في العصور الوسطى	٧١

١٤	المبحث الرابع: أثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث	٧٨
١٥	المطلب الأول : المؤيدون لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث	٧٨
١٦	عباس محمود العقاد:	٧٨
١٧	أحمد أمين وذكي نجيب محمود:	٨٣
١٨	عبد المعطي بيومي:	٨٥
١٩	المطلب الثاني : الرافضون لأثر ابن رشد على الفكر الغربي الحديث	٨٨
٢٠	الخاتمة	٩٤
٢١	التوصيات	٩٦
٢٢	الفهارس	٩٧